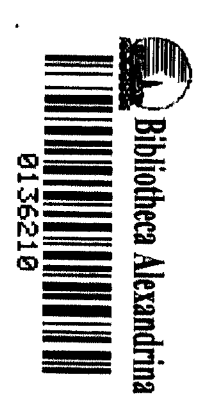
الخلافة العباسية
في عهد تسلط البويهيين

تأليف
الدكتور وفاء محمد علي
أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد
كلية الآداب - جامعة اسيوط



المكتب الجامعي الحديث
محطة الرمل/إسكندرية



الخلافة العباسية

فى عهد تسلط البويهيين

تأليف
الدكتور وفاء محمد على
أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد
كلية الآداب ـ جامعة أسيوط

المكتب الجامعى الحديث
محطة الرمل / إسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

« وكان فضل الله عليك عظيما »

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

« بين يدى الكتاب »

اذا كان عصر نفوذ البويهيين وسيطرتهم على الخلافة العباسية يعتبر امتدادا لعصر تسلط الاتراك فى عصرهم الأول على الخلافة ، فان هذا الكتاب امتداد لكتابى « الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول » وهما بهذا يمثلان منهلا خصبا لمن يريد أن يقف على حال الخلافة العباسية فى هذين العصرين .

والحق أن الكتابة عن عهد البويهيين لم تلق حظها الكافى من كتابات المؤرخين شأن غيرها من موضوعات العصر العباسى الثانى باعتباره عصر الضعف الذى لا يحفل بمثل تلك الأسماء الكبيرة التى انتظمها العصر العباسى الأول كالمنصور والرشيد والمأمون .

والحق كذلك أن الكتابة فى تاريخ عهد البويهيين شاقة ومجهدة لتشعب أحداثها وتعدد ملوكها وتداخل حكمهم ، وقد حاولت ما وسعنى الجهد أن أقدم دراسة متوازنة لهذا العصر تجمع أحداثه تحت فصول متوازنة رغم ما كان يشكله موضوع كل فصل من خطر الازدواجية حيث أن الأحداث كلها متداخلة ، ولكننى أعتقد أننى تجنبت ذلك الى أقصى الحدود بمزيد من الجهد والصبر .

وقد قسمت هذا البحث الى ستة فصول :

الفصل الأول : « بنو بويه من بلاد الديلم الى بلاد العراق » تتبعت فيه نشأة بنى بويه من بلاد الديلم فى الجنوب الغربى لبحر قزوين الى سيطرتهم على معظم بلاد فارس ثم تقدمهم الى العراق حيث تمكنوا من دخوله فى عهد الخليفة المستكفى وهو فصل كان لابد منه قبل تفصيل الدور البويهى فى خلافة العباسيين .

الفصل الثانى : « سيطرة بنى بويه على الخلفاء العباسيين » الذى بينت فيه أن البويهيين تمكنوا من السيطرة على الخلفاء العباسيين فى

عهدهم سيطرة متجبرة وأن الخلفاء نالهم من الهوان فى هذا العصر مثل ما نال غيرهم فى عصر نفوذ الاتراك السابق لهذا العهد ، وأن البويهيين ملكوا الأمر كله بحيث لم يعد للخلفاء الا القليل والذى لم يكن يعدو أن يكون مظهرية جوفاء لا تدل على شىء من السلطة ، وقد تشبه البويهيين بالخلفاء فضربت على أبوابهم النوب وعزفت البوقات ، وتلقبوا بأجل الالقاب ، وصاهروا الخلفاء على أمل أن تكون الخلافة فى ولد لهم فيه نسب .

الفصل الثالث : « محاولة السيطرة المذهبية على الدولة » وبينت فيه كيف حاول البويهيين تسييد المذهب الشيعى مع انهم يعملون فى ظل خليفة سنى ، وكيف ناصروا الشيعة على السنة وفرضوا الاحتفال باعيادهم ومناسباتهم مما تسبب فى فتن شيعية سنية انتظمت عهدهم كله ، وكيف فكروا فى جعل ولائهم للفاطميين وتحويل الخلافة اليهم فى عهد معز الدولة ، وكيف انتشرت الدعوة الفاطمية فى عهدهم فى بلاد العراق وموقف الخلافة من ذلك .

الفصل الرابع : « السيطرة على الوزارة » وفى هذا المجال بينت كيف سيطر البويهيون على هذا المنصب الذى يعتبر المظهر الثانى للسلطة فى البلاد وكيف كان وزراء البويهيين يحاولون ارضاءهم لنفعهم ونفع انفسهم ، كما بينت كيف كانت هيئة الوزراء لا قيمة لها لدى البويهيين وكيف كانت نهاية هؤلاء الوزراء وكيف كان البويهيون يتصرفون معهم حتى بعد موتهم .

الفصل الخامس : « بلاد الخلافة مسرح للأحداث الدلمية » والحق أن بلاد الخلافة تحولت فى عهدهم الى ما يشبه ساحات القتال الدائمة بسبب التنافس بين الاخوة الأعداء من بنى بويه وبسبب الفتن بين السنة والشيعة واختلاف طائفتى عسكرهم عنصريا ومذهبيا ، وقد بين هذا الفصل مدى ما حاق بأرض الخلافة من جراء ذلك .

الفصل السادس : « الحياة العلمية فى عصر بنى بويه » ، وقد أردت أن أختم الكتاب بتلك الصورة المشرقة للحياة العلمية فى هذا العصر التى

كانت تخالف الصور القاتمة التى عرضها البحث لهـذه الدولة ، حيث ازدهرت العلوم والآداب فى هذا العصر ازدهارا قل أن يكون له مثيل فى عصر آخر ٠

وبعد ، فالكتاب فى مجمله يكون صورة متكاملة للعهد البويهى رجعت فيها الى المصادر الأصيلة والمعاصرة بالاضافة الى المراجع الحديثة ٠

وأرجو من الله سبحانه أن أكون قدمت دراسـة جادة تضـاف الى الدراسات فى تاريخ العباسيين ، وأن تكون النتائج اتفقت مع ما بذل من الوقت والجهد والصبر ٠

والله سبحانه الموفق وعليه قصد السبيل ؟

دكتور وفاء محمد على
القاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م



الفصل الأول

بنـــو بويـه من بـلاد الديلـم الى العـراق



الفصـــل الأول

« بنو بويه(١) من بلاد الديلم الى العراق »

حدد الاصطخرى بلاد الديلم بقوله : « وأما الديلم وما يتصل بها: فمن ناحية الجنوب قزوين والطرم وشىء من أذربيجان وبعض الرى ، وما يتصل بها من جهـه المشرق بقية الرى وطبرستان ، ويتصل بها من جهة الشمال بحر الخزر ، ومن جهة المغرب شىء من أذربيجان وبلدان الران ، وقد ضممنا الى ذلك ما يتصل بها من جبال الرويخ وفادوسبان وجبال قاران وجرجان »(٢) .

ثم يقول : « ... اما الديلم فانها سهل وجبل ، وأما السهل فهـم الجيل ، وهم مفترشون على شط البحر تحت جبال الديلم ، وأما الجبل فللديلم المحض ، وهى جبال منيعة ، والمكان الذى يقيم به الملك يسمى روذبار ، وبه يقيم آل جستان ، ورياسة الديلم فيهم »(٣) .

ويحدد ابن الوردى جبال الديلم بقوله : « وهى ثلاثة جبال منيعـة يتحصن أهلوها بها ، أحدها يسمى تردوسيان والثـانى يسمى المرونج والثالث يسمى واران ، والجبل الذى فيه الملك يسمى الكروم وبه رياسة الديلم ومقام آل خشان وبهذا الجبل والأولين أمم عظيمة من الديلم وهى كثيرة الغياض والشجر والمطر وهى فى غاية الخصب ولها قرى وشعاب كثيرة »(٤) .

---

(١) انظر : Ency - de L'Isle (Art. Buyides) t. I, P. 827 - 82

(٢) الاصطخرى : المسالك والممـالك ص١٢١ ، ابن حوقل : كتـاب صـــورة الأرض ص٣١٨ ، المقـريزى : السـلوك ط ق١ ص٤٢ حاشية (١) .

(٣) الاصطخرى : نفس المصدر ص١٢١ ، وابن حوقل : نفس المصدر ص ٣٢٠ .

(٤) ابن الوردى : فريدة العجائب ص٤٨ ، ابن حوقل : نفس المصدر ص ٣٢٠ .

على ان بلاد الديلم فى ايام سلطان البويهيين كانت تشمل جيلان وطبرستان وجرجان وقومس ، ثم انفصلت هذه البلاد عن الديلم واستقلت ، وأصبحت المنطقة الجبلية هى الديلم ، وصار السهل وهو المنطقة الساحلية على بحر الخزر جيلان ، أى رجع الأمر الى ما قبل سلطان البويهيين(٥) .

وقد حدد الأستاذ الخضرى بلاد الديلم بانها البلاد الواقعة فى الجنوب الغربى من شاطىء بحر الخزر ، سهلها للجيل وجبالها للديلم ، وقصبتها روزبار ، وتعرف أيضا ببلاد جيلان(٦) ، ويعرفها جورجى زيدان بأنها وراء خراسان(٧) .

ويقول ابن حوقل فى الديلم : « وزعم أبو بكر محمد بن دريد أن الديلم طائفة من بنى ضبة » ثم يصفهم فيقول : « وهم أهل زرع وسوائم وليس عندهم من الدواب ما يستقلون بها . ولسانهم منفرد عن الفارسية والرانية والأرمنية ، وفى بعض الجيل فئة وطائفة تخالف لسان الجيل والديلم . والغالب على خلقهم النحافة وخفة الشعر والعجلة والطيش والبدار وقلة المبالاة والاكتراث . وكان الديلم اكثر أيام الاسلام كفارا يسمى رقيقهم الى أيام الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن ابن على بن أبى طالب عليهم السلام ، فتوسطهم العلوية وأسلم بعضهم وفيهم الى يومنا هذا فى الجبال كفار »(٨) .

وقد دخلت هذه البلاد فى حوزة المسلمين ابان حركة الفتوحات الكبرى فى عهد الخليفة الراشد الثانى عمر بن الخطاب ، ولكنها ظلت على وثنيتها . وكان الديلم يمتازون بالشجاعة التى اكسبتها اياهم طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة . وتجاور بلادهم بلاد طبرستان التى دان

---

(٥) الاصطخرى : المصدر السابق ص١٢١ (هامش ١) .

(٦) الخضرى : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية جـ٢ ص٣٧١ .

(٧) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى جـ٢ ص٤٦٩ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٢٠ .

اغلب سكانها بالاسلام ، وكان بينهمـا رغم الخلاف فى العقيـدة سـلم وموادعة(٩) .

وبعد أن خمدت ثورة محمد النفس الزكية فى الحجاز بقتله فى سنة ١٤٥هـ/٧٦٤م ، والتى نجا من القتل فيها أخواه ادريس بن عبد الله الذى فر الى بلاد المغرب ، ويحيى بن عبد الله الذى فر الى بلاد الديلم ، أدى لجوء يحيى بن عبد الله الى هذه البلاد الى تكوين رأى عام شيعى فيها يسـاند يحيى ، فاشـتدت شـوكته وكثرت جمـوعه واتاه النـاس من الأمصار(١٠) ، ولكن الرشيد تمكن من خداع يحيى بعهد مكتوب استقدمه به الى بغداد ، فانتهى بذلك دوره .

وفى عهد الخليفة العباسى المستعين بالله (٢٤٨ - ٢٥١هـ) ، كان ظهور الحسن بن زيد بطبرستان ، وصاحب ظهور الحسن بن زيد تطور جديد فى علاقة الديلم بالدولة والدين ، وتفصيل ذلك أن محمد بن عبد الله ابن طاهر المستعين بالله ظفر بيحيى بن عمر(١١) الذى خرج يدعو للرضا من آل محمد وسبب للخلافة العباسية قلقا شديدا ، حتى انه تمكن من دخول الكوفة والاستيلاء عليها وعلى بيت مالها(١٢) ؛ فكافأ المسـتعين محمد بن عبد الله بن طاهر بقطائع كانت احداها قرب ثغرى طبرستان من نواحى الديلم وهما كلار وسالوس ، وعندما أراد محمد بن عبد الله أن يتسلم تلك الاقطاعات ويتسلم مرافقها التابعة لها ، رفض أهل المنطقة تسليمها وذلك بسبب سـوء سيرة سليمان بن عبـد الله بن طاهر عامل طبرستان وسوء سيرة أولاده .

وربط أهل هذه المنطقة مقاومتهم بالانضـمام الى الحسن بن زيد

---

(٩) الخضرى : محاضرات تاريخ ا م الاسلامية جـ٢ ص٣٧١ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص ٩٠ .

(١١) هو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المكنى بابى الحسين . الكامل جـ٥ ص٣١٦ .

(١٢) ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص٣١٥ .

العلوى الذى كان ثائرا بالرى ، وطلبوا من أهل الديلم الانضمام اليهم وتاييدهم فى موقفهم ، فانضموا اليهم وبايعوا الحسن بن زيد ، وبذلك صارت « كلمة الديلم وأهل كلار وسالوس والرويان على بيعته »(١٣) .

وكان ذلك يعنى بالنسبة للديلم فى هذه المرحلة الارتباط بحركة الحسن بن زيد الثورية والتاثر بالعواطف الشيعية(١٤) ، وكان تاثير هذه الحركة أبعد فى نشر الاسلام بصبغته الشيعية فى هذه المنطقة من الحركة الأولى(١٥) اى حركة يحيى بن عبد الله .

وقد ظل الحسن بن زيد حتى مات فى سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م وتلاه أخوه محمد بن زيد الذى اضطربت الأمور فى عهده حتى توفى سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م(١٦) .

ودخل بلاد الديلم بعد وفاة الحسن بن زيد وأخيه داعية شيعى آخر هو الحسين بن على الملقب بالأطروش (١٧) ، الذى اسلم فى عهده كثير منهم ، ولم يبق الا القليل(١٨) ، وقد عمر الحسن بن على الأطروش بلاد الديلم ببناء المساجد ، كما تمكن من تامين الديلم ضد أعدائهم المجاورين ، وقد هدم حصن منيعا بمدينة سالوس بناه ملوك فارس وكان يسكن فيه المرابطون بازاء الديلم(١٩) .

---

(١٣) ابن الأثير نفس المصدر جـ٥ ص٣١٦ ، انظر كتابنا : صفحات من تاريخ العباسيين ص١٣٨ .

(١٤) Shaban, Islamic history Vol 2, P. 160

(١٥) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص ١٨٠ .

(١٦) الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية جـ٢ ص٣٧٢ ، وانظر كتابنا : صفحات من تاريخ العباسيين : موضوع « دولة العلوميين فى طرستان » .

(١٧) المسعودى : مروج الذهب جـ٤ ص٣٧٣ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق١ ص٤٣ ، صفحات من تاريخ العباسيين ص١٥٣ .

(١٨) Browne, Literary Hist. of Persia. Vol 1 P. 207

(١٩) المغريزى : السلوك ط ق ١ ص٤٣ ، محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص ١٨٠ .

واقام الحسن الأطروش بلاد الديلم نحوا من أربع عشرة سنة وتوفى فى سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م(٢٠) فى التاسعة والسبعين من عمره ، وكان يعرف بالناصر العلوى والناصر للحق(٢١) .

ويتضح من هذا أن الاسلام غزا بلاد الديلم غزوا يمكن وصفه بأنه كان غزوا سلميا عن طريق الدعوة الزيدية التى ربطت الظروف بلاد الديلم ببعض ائمتها ، ومن ثم فقد كان الديالمة مسلمين على المذهب الشيعى .

والحق أن الزيدية بجانب تاثيرهم الدينى فى أهل بلاد الديلم اثروا فيهم كذلك اجتماعيا ، حيث نجحوا فى القضاء على النظام الاقطاعى الذى كان سائدا فى بلاد الديلم بمعنى القضاء على النظام الارستقراطى القديم الذى يركز السلطة فى يد رؤساء العشائر والقبائل ، كذلك عملوا على ازالة الفوارق الطبقية فى المجتمع الديلمى والأخذ بيد الطبقات الفقيرة .

ولا ينفى اثر الزيدية فى بلاد الديلم أن للديالمة اثرهم كذلك فى الزيدية الذين تاثروا بعادات وتقاليد الديلم .

هذا ، وقد ظلت طبرستان بيد الزيدية حتى سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م حيث كانت الأوضاع قد تغيرت نتيجة لما ساد من نزاع وانقسام فى صفوف العلويين بعد وفاة الحسن بن على الأطروش ، وما ساد الساحة من قتال برز فيه أسماء بعض القواد الديالمة مثل ليلى بن النعمان وماكان ابن كالى ، وأسفار بن شيرويه ، ومرداويج بن زيار صارت تعمل لصالحها الخاص مستفيدين من حالة الاضطراب آنذاك .

---

(٢٠) النويرى : نهاية الأرب جـ٢٥ ص٩٦ ، صفحات من تاريخ العباسيين ص١٥٦ .

(٢١) المقريزى : السلوك ط ق١ ص٤٣ ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢ ص٢٥٥ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ١٠ ص١٤٩ .

بـداية البويهيـــين :

وسوف يكون اتصال بنى بويه اول ما يكون بماكان بن كالى ، بدعوا جنودا فى جيشه ثم قادة[٢٢] ، ومن هذا يتضح انهم نشأوا نشأة شيعية ثورية[٢٣] ، ويعنى ذلك اعتقادهم بأحقية أولاد على فى الخلافة ، وبأن بنى العباس قوم خادعون لبنى على غاصبون لحقهم .

على أن مرداويج[٢٤] بن زيار تمكن فى سنة ٣١٤هـ من فتح اقليم طبرستان واسس فيه الدولة الزيارية التى ما لبث نفوذها أن امتد من غربى ايران حتى الأهواز[٢٥] ، ثم استدعى مرداويج فى سنة ٣٢٠هـ أخاه وشمكير من بلاد جيلان ليتقوى به .

وكان ممن استفاد من هذا المناخ من الديلم : البويهيون الذى جهدوا للحصول على أمجاد شخصية لهم ، سالكين فى سبيل ذلك كل الطرق من مكر ودهاء وانتقال من قائد الى غيره يرون صالحهم لديه .

وبنو بويه هم أولاد أبى شجاع فناخسرو وكانوا من عامة الناس فى بلاد الديلم وكانوا من فقرائهم[٢٦] ، وكان بويه صياد سمك ، وكان معز الدولة أبو الحسن احمد بن بويه بعد أن ملك البلاد وتولى امرة الأمراء فى بغداد يتحدث بنعمة الله تعالى عليه فيقول : « كنت أحتطب الحطب على رأسى »[٢٧] .

وبنو بويه هؤلاء الذين ابتدأت بهم دولتهـم هم : أبو الحسن على

---

(٢٢) مسكويه جـ١ ص٢٧٥ .

(٢٣) انظر Ency. Ist. art. Mardawidj

(٢٤) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٥٠

(٢٥) ويقـال انهم كانوا ينتسبون الى ملوك سـاسـان الفارسيين ، العدوى : نهر التاريخ ص٤١٥ .

(٢٦) الفخرى : الآداب السلطانية ص٢٧٧ ، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص٤٩٩ .

(٢٧) وانظر Shaban, Islamic history Vol 2, P. 160

وابو على الحسن وابو الحسن أحمد ابناء أبى شجاع[٢٨] .

وقد كان هؤلاء فى جند ماكان بن كالى حين كان نجمه فى صعود ، فلما آن لنجمه ان يأفل .وراوا ضعفه وعجزه قال له أبو الحسن على واخوه أبو على الحسن : « الأصلح لك مفارقتنا اياك لتخف عنك مؤونتنا ويقع كلنا على غيرك فاذا تمكنت عاودناك »[٢٩] .

ورواية أبى الفدا : « فاذا صلح أمرنا عدنا اليك »[٣٠] .

وقد صلح امر بنو بويه فعلا وصارت لهم دولة قوية « دولة نبعت بما لم يكن فى حساب الناس ، ولم يخطر بعضه ببال أحد ، فدوخت الامم ، واذلت العالم ، واستولت على الخلافه ، فعزلت الخلفاء وولتهم، واستوزرت الوزراء وضرفتهم ، وانقادت لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العراق ، وأطاعتهم رجال الدولة بالاتفاق ، هذا بعد الضيق والفقر والذل والمسكنة ومعاناة الحاجة والاضطهاد »[٣١] .

تطـور قـوة البويهيـين :

اما تفصيلات كيف سارت الأمور باخوة بنى بويه الثلاثة : فقد بدأت شموسهم تعلو عندما ولى مرداويج بن زيار الديلمى[٣٢] على بن بويه بلاد الكرج الى الجنوب الشرقى من همذان[٣٣] ، وكان على بن بويه

---

(٢٨) ابو الفدا : المختصر جـ٢ ص٧٨ .
(٢٩) مسكوية جـ١ ص٢٧٧ .
(٣٠) ابو الفدا : المختصر جـ٢ ص٧٨ .
(٣١) ابن طناطبا : الآداب السلطانيه ص١٧٧ .
(٣٢) كان مرداويج بن زيار الدليمى فارسى الأصل وقد عرف بتعصبه للفرس حتى قيل « آنه يريد أن يأخذ بغداد وينقل الدولة الى الفرس ويبطل دولة العـرب ، » وقد جعـل عسكره صـنفين «صنف منهم جبل وديلم وهو خواصه وأهل بلده الذين فتح بهم الرى ونواحيها وصنف أتراك وأهل خراسان » .سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص٤٩ هامش ٤ .
(٣٣) مسكويه : تجارب الأمم جـ١ ص٢٧٧ ، سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٥٠ .

يتصف بالسماحة والحلم والشجاعة مما افاده فى اكتساب القلوب ، « واتصل بجميع ذلك اتفاقات محمودة ومولد سعيد »(٣٤) ، فلدى وصوله الى الرى فى طريقه الى ولايته ووصول غيره من القواد كذلك الذين اقطعهم مرداويج أعمالا عرض على بن بويه بغلة له للبيع ليستعين بثمنها وكان ثمنا ثلاثة آلاف درهم فاشتريت البغلة للحسين بن محمد الملقب بالعميد وزير مرداويج ورأى على بن بويه أن يجامل الوزير فاخذ عشرة دنانير فقط ورد الباقى الى العميد وجعل معه هدية جميلة اليه مما كان له أحسن الاثر فى نفس العميد .

وفى تلك الاثناء بدا لمرداويج العودة عن قراره بتقليد هؤلاء الرجال تلك الاعمال فكتب الى اخيه وشمكير فى الرى والى العميد يامرهما بالغاء تلك العقود وبمنعهم من المسير الى اعمالهم ، بل انه أمرهما برد من كان خرج فعلا .

ولما كانت الكتب تعرض على العميد قبل عرضها على وشمكير ، فان العميد رأى أن يرد الجميل الى على بن بويه ، فارسل اليه يحثه على السير من ساعته الى عمله ، وقد اسرع على فعلا فى سيره فسار فى وقت المغرب الى عمله .

وفى الصباح عندما قرأ وشمكير الكتب أوقف سير القواد الى أعمالهم ومنعهم من الخروج من الرى ، وأخذ منهم ما أعطاهم أخوه مرداويج من العقود ، وأراد أن يرسل خلف على بن بويه من يرده ، فنصحه العميد بالا يفعل وقال له : « انه لا يرجع طوعا ، وربما قاتل من يقصده ويخرج عن طاعتنا »(٣٥) .

قال مسكويه : « وفاز على بن بويه بالولاية التى كانت سبب ملكه

---

(٣٤) مسكويه : نفس المصدر جـ١ ص٢٧٧ .

(٣٥) مسكويه : تجارب الامم جـ١ ص٢٧٨ وابن الاثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٢ .

وتمكنه ، وليس يعرف لجميع ذلك بعد قضاء الله عز وجل سبب الا سخاءه وسعة صدره »(٣٦) ٠

وفى ولايته للكرج سار على بن بويه سيرة عادلة فى الناس وفى العمال ، مما دفع بهؤلاء الى أن يرسلوا الى مرداويج بن زيار يشكرون له توليته لذلك الوالى العادل ، ويصفون له سيرته فيهم ، وكيف أنه أحكم الأمور وضبطها ٠

ومن ناحية أخرى تمكن على بن بويه من استغلال مواهبه الحربية فافتتح قلاعا للخرمية(٣٧) ، وحصل نتيجة لذلك على أموال وافرة استغلها فى التمكين لنفسه فى ولايته عن طريق شراء القلوب بالصلات والهبات ٠

ولم يكن ذلك بالأمر الذى يرضى مرداويج فأراد اثارة القلاقل لعلى ابن بويه ، فأرسل اليه جماعة من قواده لينالوا أرزاقهم من ولاية على ٠

ووزن على بن بويه الأمور ، ورأى أن يستفيد من هؤلاء القواد حتى ياتيه النفع من حيث أراد له مرداويج الضرر ؛ فاستمالهم وارصاهم وأنعم عليهم بالصلات ، وكانت النتيجة أن صاروا من رجاله ٠

وادرك مرداويج خطاه وأراد تداركه باسترجاع هؤلاء القادة فكتب الى على بن بويه والى القادة فى هذا الشأن ، ولكنه لم يصل الى ما أراده ، وذلك أن على بن بويه خوف هؤلاء القادة من عودتهم الى مرداويج وأخذ عليهم العهود لنفسه فاجابوه جميعا الى ذلك ٠ وكان

---

(٣٦) مسكوية : نفس المصدر جـ١ ص٢٧٨ ٠

(٣٧) الحرمية : حركة آخذت اسمها من أسم زوجة فردك زعيم الاباحة القديم عند الفرس والتى كان اسمها « خرما » حملت نشاط زوجها الهدام بعد أن قتله كسرى قباذ ، وتابعت نشر مفاسده ، وكان من أخطر زعماء هذه الحركة بابك الحرمى الذى قتل فى عهد الخليفة العباسى المعتصم بالله على يد قائد الأفشين ٠ أنظر فى هذه الحركة : العدوى « حركات التسلل ضد القومية العربية » من ص٣٥ - ٤٣ ٠

هؤلاء القادة فى تصرفهم هذا ينظرون أول ما ينظرون الى مصلحة أنفسهم ، ولم يكن شأنهم شأن الرعية المستقرة التى تطيع اذا أمرت(٣٨) .

وشاءت الظروف آنئذ أن ينضم الى على بن بويه احد قواد الديلم وهو شيرزاد ، فقويت نفسه بذلك(٣٩) .

ومع ما وصل اليه على بن بويه من قوة فانه كان يدرك انه قبل كل شىء أحد عمال مرداويج وأن مرداويج لن يسكت عنه ، وأن يد مرداويج قد تصل اليه فى أى وقت ، فلا بأس من ان يطمح ببصره الى الدخول فى طاعة الخلافة ليكون فى خدمتها بدلا من خدمة مرداويج .

سار على بن بويه فى ثلاثمائة من جنده قاصدا اصبهان ، وراسل أصحاب أصبهان المظفر بن ياقوت الذى تجهز لقتاله فى عشرة آلاف فارس بعد أن رفض مطلب على بن بويه بتحريض من أبى على رستم صاحب خراج اصبهان ، وساندت الظروف على بن بويه بوفاة أبى رستم على آنذاك،والتقى بجند المظفر ياقوت على مقربة من اصبهان؛ونجح على ابن بويه فى استمالة ستمائة رجل من جند المظفر مستغلا ما يربطهم بجنده من رابطة العصبية حيث كانوا من الجيل والديلم(٤٠) ، وكانوا قد علموا من خصال على بن بويه ما حببهم فى الانضمام اليه ، وهكذا تمكن على بن بويه بعد قتال شديد من تحقيق النصر على المظفر بن ياقوت والاستيلاء على أصبهان ، وكان لهذا النصر صداه فى جانب الخلافة وفى جانب مرداويج ، ففى حين استعظمت الخلافة ذلك رأى فيه مرداويج خطرا لابد من حسمه والقضاء عليه ، وذلك أنه خاف على ما بيده من البلاد(٤١) ، أما الناس فقد عظم فى عيونهم على بن بويه « لأنه فى

---

(٣٨) ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر الاسلامى ص٥٠٥ .

(٣٩) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٢ .

(٤٠) ابن الأثير نفس المصدر جـ٦ ص٢٣٢ .

(٤١) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٢ : مسكويه : تجارب الأمم جـ١ ص٢٧٨ .

تسعمائة رجل هزم ما يقارب عشرة آلاف رجل »[٤٢] .

على أية حال راى مرداويج أن رجلا مثل على بن بويه لا يمكن القضاء عليه الا باعمال الحيلة ، فأرسل اليه رسالة يعاتبه فيها ويحاول استمالته ، وأظهر كانما كان يقره على ما فعل ولكن على شرط أن يظهر طاعته له ، وأنه على استعداد لامداده بما يحتاجه من جند حتى يتمكن من فتح ما يريد من البلاد . وأنه لا يطلب منه سوى « الخطبة له فى البلاد التى يستولى عليها »[٤٣] .

وكانت خطة مرداويج تقضى عدم اتاحة الفرصة لعلى بن بويه لكثير تفكير فى رسالته ، ففى الوقت الذى قد يداخل فيه على بن بويه شىء من الطمأنينة لرسالته اليه يكون جيشا كثيرا بقيادة أخيه وشمكير قد فاجاه بالنزول عليه ، وتسربت اخبار تلك الحملة الى على بن بويه فرحل دون انتظار لمواجهة قد يخسر فيها وذلك بعد ان جبى خراج اصبهان مدة شهرين . وكلى على بويه يرى أن بقاءه فى أصبهان لن يبعده كثيرا عن سطوة مرداويج ، كما أن بقاءه فيها سيثير سخط الخلافة عليه من ناحية أخرى لأنها كانت حريصة على موقع أصبهان[٤٤] .

سار على بن بويه عن أصبهان ميمما شطر مدينه ارجان[٤٥] التى تقع فى منتصف الطريق بين اصبهان وشيراز ، وتمكن فى ذى الحجة سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م من الاستيلاء عليها دون قتال حيث أدرك صاحبها أبو بكر ابن ياقوت عدم قدرته على مواجهة على بن بويه الذى هزم والى أصبهان الذى كان أكثر قوة ، وآثر أبو بكر بن ياقوت أن ينسحب جنوبا

---

(٤٢) مسكويه : تجارب الأمم حـ١ ص٢٧٩ وابن الأثير : نفس المصدر حـ٦ ص٢٣٢ .

(٤٣) ابن الاثير نفس المصدر جـ٦ ص٢٣٢ .

(٤٤) ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص٥٠٦ .

(٤٥) أرجان : مدينة كبرة على نهر طاب ، وهى فى أيران وتسمى ارغان .
Le Strange Lands of the Eastern P 284

قاصدا رامهرمز(٤٦) لعله يفلح مع غيره فى التمكن من الوقوف فى وجه ابن بويه ٠

ومن ناحية أخرى تمكن جيش وشمكير من دخول اصبهان ، ولكن يبدو أن الخلافة كانت تنظر بعين الحذر الى وجود مرداويج فى أصبهان لذلك أرسل الخليفة القاهر بالله الى مرداويج يأمره بتسليم المدينة الى محمد بن ياقوت ، فاطاع مرداويج أمر الخلافة ووليها محمد(٤٧) ٠

وبقى على بن بويه فى أرجان مدة تمكن فى خلالها من اراحة جنده ، ومن الحصول على مال يتقوى به ، وهناك وافته كتب أبى طالب زيد بن على يحثه على السير الى شيراز ، ويهون له أمر ياقوت صاحبها وأمر أصحابه وأن شيراز لن تكون مع ياقوت عليه وذلك لتهور ياقوت « واشتغاله بجباية الأموال وكثرة مئونته ومئونة أصحابه ، وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وجبنهم.»(٤٨) ٠

ورغم ذلك فان على بن بويه كان يخشى وقوعه بين ياقوت من جهة وأبنائه من جهة أخرى ففضل المكوث فى أرجان ، غير أن كتب أبى طالب لاحقته بخبر جديد يمثل خطورة على على بن بويه وذلك أن مرداويج قد كتب الى ياقوت حتى يجتمع معه على محاربة عدوهما المشترك ٠ وخوفه أو طالب من أنهما اذا اجتمعا على محاربته لم يكن له بهما طاقة ٠ ، وأوضح له رأيه بقوله : « ان الرأى لمن كان فى مثل حاله أن يعاجل من بين بديه ، ولا ينتظر بهم الاجتماع والكثرة أن يحدقوا به من كل جانب فانه اذا هزم من بين يديه خافه الباقون ولم يقدموا عليه »(٤٩) ٠

---

(٤٦) تجارب الأمم : جـ٢ ص ٢٨٠ ٠

(٤٧) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٢ ٠

(٤٨) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٣٢ : مسكويه : تجارب الأمم جـ١ ص ٢٨٠ ٠

(٤٩) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٣٣ ، مسكويه تجارب الأمم جـ١ ص٢٨١ ٠

وافتتح على بن بويه بالتقدم صوب النوبندجان(٥٠) بمواطاة من صاحبها الذى تنحى عنها الى بعض القرى ، وكلف وكلاءه بخدمة على بن بويه ؛ ومن هناك أرسل على بن بويه أخاه الحسن بالتوجه الى كازرون(٥١) وبعض أعمال فارس لاستجلاب أموال تعوضه عن خسائره وتمكن الحسن من هزيمة جيش لياقوت عند كازرون رغم قلة جنده وعاد محملا بالأموال والغنائم الى اخيه(٥٢) . واضطر على بن بويه الى الخروج من النوبندجان عندما علم صدق المراسلات بين مرداويج ووشمكير من ناحية وياقوت من ناحية اخرى وخاف من اجتماعهم عليه، وتمكن من الوصول الى اصطخر ثم الى البيضاء وياقوت يسير فى أثره، وتمكن ياقوت فى النهاية من أن يسبق على بن بويه الى قنطرة يعلم مسيره اليها فى طريقه الى كرمان ، ومنع ياقوت على بن بويه من العبور مما اضطر على بن بويه الى محاربته ، وتمكن بفضل ما أبداه من بسالته وسياسته فى جنده ان يحقق النصر ، فقد جمع على بن بويه اصحابه وحمسهم على خوض القتال ووعدهم حسن المكافاة وفى ذلك يقول مسكويه : « فاستدعى على بن بويه أصحابه ليلة الخميس وأعلمهم انه يترجل معهم ويقاتل كاحدهم ووعدهم ومناهم ، واستوثق منهم الايمان فى الثبات والجهاد والجد »(٥٣) .

وشاءت الظروف أن تخدم على بن بويه مرة أخرى ، فعلى عكس ما حدث من انحياز بعض جند أعدائه اليه فى احدى معاركه انحاز جماعة من اصحابه الى ياقوت واستامنوا اليه ، ولكن ياقوتا تشكك فى انحيازهم اليه فامر بضرب رقابهم ، فكان ذلك دافعا لرجال على بن بويه الى الاستبسال فى قتال ذلك الرجل الذى لا يؤمن أن يستامن اليه .

---

(٥٠) مسكويه : تجارب الأمم جـ٢ ص٢٨١ والنوبندجان : مدينة من ارض فارس من كورة سابور بين أرجان وشيراز . ياقوت جـ٦ ص٣٠٧

(٥١) كازرون : مدينة بفارس بين البحر وشيراز . ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص٤٢٩

(٥٢) مسكويه : تجارب الأمم جـ١ ص٢٨١ .

(٥٣) مسكويه : نفس المصدر جـ ص٢٨٢

. كما شاءت الظـروف كذلك أن تقف الى جانب على بن بويه مرة اخرى حيث كان ياقوت يسـتخدم فى مقـدمة جيشـه رجالا يحـاربون بمزاريق النفط والنيران يلقونها على أعدائهم فساندت الطبيعة على بن بويه حيث تغير انجاه الريح واشـتدت فجـأة فامسكت بوجوه وثيـاب أصحاب ياقوت فدب الاضطراب فى صـفوفهم ، وانتصر عليهـم جنـد على(٥٤) ، ولجأ ياقوت الى مكان مرتفع وضع عليه رايته فتجمع حوله نحو اربعة آلاف من رجاله منتظرا انكباب جند على على ما خلفوه من الغنائم واشتغالهم بذلك مما يتيـح له العـودة الى قتالهـم وقال لهـم (لاتفرقوا وتأهبوا للكرة فانه الظفر لا محالة)(٥٥) ، وفى ذلك يقول مسـكويه « وهذه لعمرى مكيـدة طالما صـارت سببا لظفـر قوم بعـد هزيمتهم »(٥٦) ، ولكن على بن بويه لم يغب عنه تفكير ياقوت فنبـه أصحابه الى عدم الانصراف الى الغنائم وقال لهم : « لا تبعدوا ولاتنقضوا تعبيتكم فان الخصم واقف ينتظر اشتغالكم بالنهب ثم يعطف عليكم ولم يبق له غير هذه المكيدة »(٥٧) وطلب منهم أن ينتبهوا لذلك والغنـائم بعـد النصر فى انتظـارهم ، وأطاعه أصـحابه مما اضـطر ياقوت الى الانهزام فى جنده بينما أصحاب على بن بويه يقتلون فى جنده ويأسرون ويغنمون الخيل والسلاح .

وهكذا تحقق لعلى بن بويه دخول شيراز منتصرا فى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م ، وكان ممن علا نجمه فى القتال آنذاك فتى يافع فى التاسعة عشرة من عمره هو أبو الحسن أحمد بن بويه .

وكان على بن بويه بعد أن انتهت المعـارك على مسـتوى القـادة العظماء فى حسن الخلق حين رفض أن يشهر بأسراه مع أن ياقوت كان قد أعد صناديق مليئة بالبرانس والقيود لتشهير من يقع فى أسره من جند

---

(٥٤) مسكويه : تجارب الأمم جـ١ ص٢٨٢ وابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٥ .
(٥٥) مسكويه : تجارب الأمم جـ١ ص٢٨٣ .
(٥٦) مسكويه : نفس المصدر جـ١ ص٢٨٣ .
(٥٧) مسكويه : نفس المصدر جـ١ ص٢٨٣ ، ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٥ .

على ، وقد قال على لمن أشار عليه من قواده بأن يجعل البرانس على رءوس اسراه والقيود فى أرجلهم ويشهر بهم فى المعسكر ثم فى البلد « بل نعدل عن هذا الى العفو عمن أظفرنا الله بهـم من أعدائنا ونشكر الله على هذه النعمة فانه أدعى للمزيد ، وأبعد من البغى والطغيان »(٥٨) .

وكان من نتيجة ذلك أن علا قدره فى دفوس جنده وفى نفوس أسراه حتى ان الأسرى رفضوا العودة الى ياقوت ، وفضلوا المقـام عنـده ، فقبلهم بين جنوده وأحسن اليهم(٥٩) .

وشاءت الظروف كذلك أن تقوده فى يسر الى أموال ياقوت التى كانت تتراوح بين ثلاثمائة ونصف مليون دينار ، فانفق منها على جنده ممـا حببهم فيه وثبت أقدامه ، وتحقق له بذلك ان يقف قاب قوسين من حلمه عندما راسل الخليفة الراضى بالله العباسى (٣٢٢ – ٣٢٩هـ) (٩٣٤ – ٩٤١م) ووزيره على بن مقـلة يعرفهما أنه على الطـاعة ، ويطلب الاعتراف له بما تحت يده من البلاد اقطاعا فى مقابل أن يبذل للخـلافة مليونا من الدراهم(٦٠) .

وفاز على بن بويه باعتراف الخلافة ، ولبس الخلعة واللواء اللذين ارسلا اليه فى صحبة رسول الخلافة ، ويقول ابن الأثير انه رغم ذلك فقد ماطل الرسول فى دفع المال ، بل ان الرسول ظل عند على حتى مات فى سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م(٦١) .

والحق أننا بالنظـر الى سـلوك على بن بويه ورجاله نرى الأمر لا يمثل غزوا أو فتحا لبلاد ، والا فاين الرجال الذين خلفهم على بن بويه فى أى بلد حقق فيه انتصارا ؟ ، ومن هذا يتضح أن الأمر فى حقيقته يمثل

---

(٥٨) مسكويه : نفس المصدر ط ص٢٨٣ ، ابن الأثير . الكامل ج٦ ص٢٣٥

(٥٩) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص٢٣٥ .

(٦٠) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص٢٣٥ ، ويجعـل بن طباطبا المبلغ ثمانية ملاين درهم .
ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص٢٧٨

(٦١) ابن الأثير : نفس المصدر ج٦ ص٢٣٥ ، ٢٣٦

هجرة قام بها البويهيون ليصلوا الى مكان مناسب يمكن أن يحقق لهم الأمان ، وقد أتيح لهم ذلك فى شيراز فاستقروا فيها واتخذوها قاعدة ، وذلك بعد هجرة سنتين فى اتجاه الجنوب . ثم اتيح لهم من ذلك الموقع الاتصال بالخلافة والحصول على اعترافها .

وهكذا أبان على بن بويه عن مقدرة سياسية وحربية فذة ، وكان لابد أن يعلو نجم بنى بويه ، وأن يحصلوا على المزيد من المكاسب والمكانة لاسيما وهم تحت قيادة على بن بويه الذى عرف بالتريث وعدم التعجل فى الحصول على أمر من الأمور كما بدا ذلك من خلال كل تصرفاته حتى وصوله الى شيراز .

وعلى الجملة ، فقد أدرك على بن بويه ما كان يطمح اليه ، وصار أول ملوك بنى بويه(٦٢) .

ولم يكن ما وصل اليه على بن بويه يرضى مرداويج ، وقد عبر ابن الأثير عن موقف مرداويج هذا فقال : « وقام لذلك وقعد »(٦٣) ، وساعدته الظروف آنئذ أن يعيد وشمكير الى أصبهان التى كان أخلاها بناءا على أوامر الخلافة ، وذلك أن الخليفة القاهر قد خلع(٦٤) فى حين تأخر محمد بن ياقوت عن دخول أصبهان ؛ وهكذا عاد وشمكير الى أصبهان بعد أن ظلت تسعة عشر يوما بغير أمير ، ثم وصل مرداويج بعد ذلك بنفسه الى أصبهان ، ومن هناك وجه بأخيه وشمكير الى الرى(٦٥) .

---

(٦٢) ابن طباطبا : الفخرى ص٢٧٩

(٦٣) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٦

(٦٤) اجتمعت الساجية والحجرية على القبض على القاهر وخلعه ، وتم لهم ذلك وحبسوه ، وذلك بعد أن سملوه حتى سالت عيناه على خده ، وذلك فى يوم الأربعاء ٥ من جمادى الأول سنة ٣٢٢هـ . مسكويه : تجارب الأمم حـ١ ص٢٨٦ وانظر كتابنا : الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول ص١٤٢

(٦٥) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٦

وأراد مرداويج أن يحسم أمره مع على بن بويه ، فدبر خطة تقضى بارسال جنود الى الاهواز يستولون عليها ، فيقطع بذلك الطريق على على بن بويه للاتصال بالخلافة ، وفى نفس الوقت يتوجه مرداويج بنفسه من أصبهان اليه ، وبذلك يقع على بين فكى كماشة من جنود مرداويج .

وتمكن مرداويج فعلا من الوصول الى ايذج(٦٦) فى شهر رمضان سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م ، وتمكن ياقوت الخائف من مرداويج ومن على بن بويه آنئذ أن يحصل من الخليفة الراضى على تقليده الأهواز ، ولكن مرداويج ما لبث أن تمكن من الاستيلاء على الأهواز .

وجنح على بن بويه الى الحكمة فعمل على استمالة مرداويج ووسط نائب مرداويج فى ذلك ، وقبل مرداويج على شريطة أن يعلن على بن بويه الطاعة له لو أن يخطب له فى بلاده، فقبل على بن بويه ذلك؛ وبفضل تلك الحكمة استقرت امور على بن بويه ، وحفظ طاقته الحربية من استنفادها فى حرب غير مأمونة النتائج ، وقد أرسل على بن بويه الى مرداويج بهدية جميلة ، وأرسل بأخيه ركن الدولة الحسن رهينة(٦٧) الى مرداويج لضمان الوفاء بما عاهده عليه .

لم يلبث مرداويج أن لقى حتفه فى نفس سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م ، وذلك حين تمرد عليه جنوده من الأتراك الذين نقموا عليه تفضيله للديالمة من جنده عليهم انحيازا منه الى بنى جلدته ، وكان رؤساء الأتراك الذين تألبوا عليه : بجكم وتوزون(٦٨) وباروق وابن بغرا ومحمد بن ينال الترجمان(٦٩) .

---

(٦٦) ايذج : بلد بين خوز ستان وأصبهان .
Le strange, Lands of the Eastern .. P. 280

(٦٧) أبن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٩

(٦٨) صار بحكم أميراً للأمراء فى عهد الخليفة الراضى سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م ، أما توزون فقد صار اميراً للأمراء سة ٣٣١هـ/ ٩٤٣م فى عهد الخليفة المتقى لله . انظر فى ذلك كتابنا : الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول من ص١٩١ - ٢٢٤ .

(٦٩) ابو الفدا : المختصر جـ٢ ص٨٢ ، الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية جـ٢ ص٣٧٧ .

. هذا ، وقد نهب الاتراك قصر مرداويج وهربوا ، وكان مرداويج كما يقول ابن الأثير « قد تجبر قبل أن يقتل وعتا وعمل له كرسيا من ذهب يجلس عليه ، وعمل كراسى من فضة يجلس عليها اكابر قواده ، وكان قد عمل له تاجا مرصعا على صفة تاج كسرى ، وقد عزم على قصد العراق والاستيلاء عليه ، وبناء المدائن ودور كسرى ومساكنه ، وأن يخاطب اذا فعل ذلك بشاهنشاه »[٧٠] ، ويضيف ابن الأثير مشيرا الى قتله وراحة النـاس منه فقال : « فاتاه أمر الله - وهو غافل عنـه - واستراح الناس من شره »[٧١] .

وكان من نتيجة ذلك أن تمكـن ركن الدولة الحسـن بن بويه من الهرب الى أخيه على ببلاد فارس[٧٢] .

ومن ناحية أخرى افترق الاتراك بعد قتل مرداويج الى فرقتـين سارت احداهما الى على بن بويه ، وكانت تلك الفرقة تحت رئاسـة قائد يسمى فجخج ، بينما تبعت فرقة أكبر زعيمها بجكم ، اما وشمكير أخو مرداويج فقد انضاف اليه بالرى أصحاب أخيـه القتيـل وتوافدوا عليه[٧٣] .

وهكذا ، بالنظر الى المسرح السياسى آنذاك ، وفى ضوء ما حدث من تطورات ، نرى عندنا ثلاث قوى رئيسية - هى : قوة على بن بويه بفارس ، وقوة الزياريين- أتباع وشمكير بن شيروبه الذى آل اليه أمرهم بعد وفاة مرداويج وان لم يكن له من القوة والنفوذ ما كان لأخيه مما كان يعنى تطورا جديـدا فى نوع التبعية المعترف بهـا بين البويهيـين والزياريين والتى وقعت بنودها بين مرداويج وعلى بن بويه ، ولم يكن فى استطاعة وشمكير فرض تلك التبعية عمليا على البويهيين ، وصارت قوة علىّ بن بويه لا تسمح له بأن يلين فى تعامله مع الزياريين .

---

(٧٠) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٤٦
(٧١) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٤٦
(٧٢) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٤٦ .
(٧٣) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٤٦ .

أما ثالثة القوى ، فكانت قوة السامانيين بخراسان وما وراء النهر، وهؤلاء كانوا فى شغل بدورهم الجهادى فى الذود عن الثغور الاسلامية وهو دور يحيطهم بالتكريم والاحترام ، وما كان لهم أن يشغلوا أنفسهم بالتدخل فى أمور المنطقة الوسطى من العالم الاسلامى(٧٤) ٠

فاذا ادركنا أن منطقة فارس التى استقر فيها البويهيون كانت خارجة عن المنطقة التابعة للسامانيين وكانت آخر منطقة من المناطق الخاضعة للخلافة فى الشرق ، ادركنا أن السامانيين أدركوا انهم ليسوا طرفا فى خلاف ، وأن المشكلة فى سداها ولحمتها هى مشكلة الخلافة التى ادركت من ناحيتها ألا تطلب من السامانيين التدخل فى مثل هذا الأمر ، وهكذا بدا السامانيون وكأنهم يقرون ما أضحى أمرا واقعا

أما ياقوت الذى كان بالأهواز فضعفت قوته الى درجة كبيرة ، حتى انه لم يعد قادرا على أن يحافظ على ما معه(٧٥) ٠

والنتيجة بعد كل هذا ان على بن بويه صار متمكنا فى اقليمه معترفا به من الجميع ، آمنا من أى هجوم عليه ، بل وصار من مكانه هذا البعيد عن كل مراكز القوى الاسلامية المختلفة يفكر فى توسيع قاعدته ليجعل من اقليم فارس مركزا لدولة أكبر ، تجمع الى اقليم فارس الأقاليم ذات الصبغة الايرانية التى يمكن أن تنضم الى هذا المركز الجديد(٧٦) ٠

وفى تلك الأثناء كان الأخ الثانى الحسن بن بويه قد سيره أخوه على الى بلاد الجبل ، وتمكن من الاستيلاء على أصبهان وغيرها ونحى عنها نواب وشمكير ، وظل الحسن بن بويه يتنازع ووشمكير بلاد أصبهان وهمذان وقم وقاشان وكرج وكنكور وقزوين وغيرها حتى انتهى الأمر باستيلاء الحسن عليها بعد خطوب وحروب طويلة(٧٧) ٠

---

(٧٤) ابراهيم الشريف / العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص٥١٤ ٠
(٧٥) الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية جـ٢ ص٣٧٨ ٠
(٧٦) ابراهيم الشريف : نفس المصدر السابق ص٥١٤ ٠
(٧٧) الخضرى محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية جـ٢ ص٣٧٨ ٠

الاستيلاء على الأهواز[٧٨] :

وقد رأى عماد الدولة بن بويه وركن الدولة الحسن بن بويه بعد أن تمكنت امورهمـا فى بلاد فارس وبلاد الجبل أن يطمحا ببصرهما الى الأهواز لقيمتها الاستراتيجية فهى بالنسبة للبويهيين تصلهم بالشمال ببلادهم الأولى كما انها هى التى تصلهم بالعراق فهى دهليز العراق كما هى دهليز فارس[٧٩] .

وفى انتظار الفرصة المناسبة رأى الأخوان تسيير اخيهما الأصغر أبى الحسين أحمد الى كرمان ، وحفزهما على التفكير فى ذلك ما ادركاه من ضعف قوة الخليفة العباسى فى بغداد .

سار معز الدولة احمد بن بويه فى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م فى جيش كبير ، فلما وصل كرمان تركها صاحبها من غير حرب ورحل الى سجستان ، فملكها أحمد بن بويه ، وكان بتلك الاعمال طائفة من الاكراد[٨٠] (القفص والبلوص)[٨١] وقد تغلبوا عليها وكانوا يحملون فى كل سنة شيئا من المال بشرط الا يطأوا بساطه[٨٢] ، وقد عرض رئيسهم على بن الزنجى - المعروف بعلى كلويه - على أحمد بن بويه أن يجروا معه على ما كانوا مع صاحب كرمان قبله فقبل ذلك منه ، وخطب على بن كلويه لأحمد بن بويه .

وزين بعض أصحاب أحمد بن بويه له أن ينقض عهده ، وأن يسرى

---

(٧٨) الأهواز : كورة عظيمة كانت تضم سبع كور بين فارس والبصرة وهى « خوزستان » فى ايران اليوم ، ومدينة الأهواز ما تزال قائمة على نهير كارون الذى يمد شط العرب فى ايران .
Le Strange, Lands of the Easter Caliphate, P. 267
وانظر ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص٢٨٤ .

(٧٩) ابراهيم الشريف العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص٥١٦ .

(٨٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص١٧٥ .

(٨١) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣٥٥ .

(٨٢) ابن الأثير نفس المصدر ص٢٥٥ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص١٧٥ .

الى القوم بليل فياخذهم على غفلة ، ويستولى على أموالهم وذخائرهم، فنكث أحمد بعهده وقصدهم ليلا فى طريق وعرة ، ولكن القوم لم يكونوا غافلين فنصبوا له ولرجاله كمينا مكنهم منهم ، وكثر القتلى والأسرى فى جند أحمد ، بل وقع هو نفسه تحت ضرباتهم أسيرا مثخنا بجراحه « وطاحت يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى ، واثخن بالضرب فى رأسه وسائر جسده ، وسقط بين القتلى ثم سلم بعد ذلك »(٨٣) .

ورغم غدر أحمد بن بويه فان على كلويه عندما رآه مثخنا بجراحه بين القتلى عمل على انقاذه واحضر له الأطباء ، وبالغ فى علاجه واعتذر اليه .

ثم ارسل على كلويه الى على بن بويه يعتذر له عما وقع لأخيه ، ويعرفه بما كان من غدر أخيه بهم وانه فى طاعتهم ، فقبل عماد الدولة اعتذاره واستقر الصلح بينهما(٨٤) .

ولكن ما ان عادت الى أحمد بن بويه قوته حتى حاول الانتقام من على كلويه ، ولم تعجب سياسة التهور التى يسير عليها أحمد أخاه عليا ، ورأى ان تلك السياسة لا تتفق ووضع هذه البلاد ، فأمر أحمد بالعودة اليه ، وارسل بعضا ممن يثق فى قدرتهم على اتباع السياسة التقليدية فى هذا الاقليم(٨٥) .

عاد أحمد بن بويه الى أخيه واقام عنده باصطخر ، وواتت الفرصة التى كان يطمح اليها على بن بويه بالاستيلاء على الأهواز الاستراتيجية حين لجأ أبو عبد الله البريدى والى الأهواز الى البويهيين فارا من وجه

---

(٨٣) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٥٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص١٧٥ .

(٨٤) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٥٦ ، ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص٥١٥ - ٥١٦ .

(٨٥) ابن الأثير نفس المصدر جـ٦ ص٢٥٦ ، ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص٥١٥ - ٥١٦ .

الخلافة بعد استيلاء بجكم على الاهواز ، وهون البريدى على عماد الدولة على بن بويه أمر الخلافة واطمعه فى العراق(٨٦) .

ورأى على بن بويه أن الفرصة لن تكون أسنح منهـا الان لتحقيـق مطمعه بالاستيلاء على الأهواز تحت ايهام البريدى باعادته الى الاهواز ، وتمكن جيش احمد بن بويه بالتعاون مع قوات البريدى من فتح الأهواز. ولم يتفق احمـد بن بويه والبريدى بعـد أن لاح النصر ، وبدت نوايا البويهيين واضحة أمام عينى البريدى الذى توهم حينا أن البويهيين جاءوا لمساعدته فى العودة الى الأهواز ، ووقع الخلاف بين جند أحمد من الديلم وجند البريدى من الترك ، وأرادت الخلافة استغلال ذلك فأرسلت قواتها بقيادة بجكم لتسترد الأهواز .

ولما تحرج الموقف بالنسبة لأحمد استنجد أخاه على بن بويه فأرسل اليه جيشـا تمكـن من طرد البريدى من الأهواز فتراجع البريدى الى البصرة ؛ واضطرت قوات الخلافة كذلك الى التراجع ، واستقر بجكـم فى واسط طامعا فى الاستيلاء على بغـداد ليحتل مكان ابن رائق أمـير الأمراء .

وهكذا صفت الأهواز لأحمد بن بويه فاستقر بها بعد أن سقطت فى يده سقوطا سهلا ، وتم لبنى بويه توسيع أملاكهم وتامينهـا استراتيجيا ، وأصبح بعد ذلك انحدارهم الى بغداد أمر ليس ببعيد المنال ، وكان عليهم الى حين ترقب أحوال العراق حتى تلوح لهم الفرصة المناسبة لدخوله .

أحوال العراق لدى دخول البويهيين :

وصلت الخلافة العباسية فى أواخر عهد نفوذ الأتراك الى حالة شديدة من الضعف والاضطراب ، وصار الخلفاء العباسيون مجـرد أشباح لا قوة لهم أو سلطان ، ووصلت هذه الحالة ذروتها فى عهدى الخليفتين الراضى والمتقى (٣٢٢ - ٣٣٣هـ/٩٣٤ - ٩٤٤ - ٩٤٥م) ورغم انشاء منصب أمير

---

(٨٦) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص ٢٦٠ .

الأمراء كان لانقاذ الموقف المتردى انذاك فان امر الخليفة الراضى ضعف أمره تماما(٨٧) ، وصار تحت حكم ابن رائق كما تحكم فيه بجكم « واستولى الاعاجم والأمراء ، وارباب السيوف على الدولة وجبوا الأموال ، وكفوا يد الخليفة ، وقرروا له شيئا يسيرا ، وبلغة قاصرة ، ووهن من يومئذ أمر الخلافة »(٨٨) ، وكان موت الخليفة الراضى فى سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م يعنى انهيار مجد الخلفاء العباسين اسما وفعلا(٨٩) .

اما الخليفة المتقى فاننا نراه يقف فى جانب محمد بن رائق فى احدى مراحل النزاع بين ابن رائق وأبى عبد الله البريدى ؛ ونتيجة لهجوم البريدى على بغداد اضطر الخليفة نفسه الى الهرب فى سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م، ولم يتمكن من العودة الا بعد أربعة أشهر فى حراسة حمدانية مسلحة ، وتولى بنو حمدان منصب امير الأمراء ، ولكنهم لم يستقروا طويلا حتى تمكن توزون أحد قادة الاتراك من هزيمة سيف الدولة ، وتمكن من دخول الموصل سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م ، وكان من نتيجة ذلك ان سار المتقى الى الرقة(٩٠) ، ولحقه سيف الدولة .

وأرسل المتقى الخلع الى توزون واسترضاه وطلب منه أن يسمح له بالعودة الى بغداد لأنه على حد قوله « رأى من بنى حمدان تضجرا به وايثارا لمفارقته »(٩١) .

وحاول المتقى من ناحيه اخرى الاستنجاد بوالى مصر محمد بن طغج

---

(٨٧) الذهبى : دول الاسلام جـ٢ ص١٩٩ ، سيديو : خلاصة تاريخ العرب ص١٢١ .
Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 302
Saunders, A History of Medieval Islam, P. 135

(٨٨) ابن طباطبا : الفخرى ص٢٨٢ .

(٨٩) العدوى : الاسلام وامبراطورية الروم ص١١٩ .

(٩٠) الرقة مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة ايام معدودة فى بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقى : ياقوت : جـ٣ ص٥٩ .

(٩١) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣٠١ ، وانظر : مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص٦٧ .

الأخشيد الذى الى الرقة فى المحرم سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م وعرض على الخليفة أن يسير معه الى مصر والشام فلم يقبل المتقى ، فطلب منه الأخشيد الا يذهب الى بغداد خشية عليه من توزون ، فرفض الخليفة ذلك أيضا (٩٢) .

وأرسل المتقى الى توزون يستوثق منه ويطلب منه أن يؤمنه ، فأمنه توزون وأشهد على نفسه(٩٣) ، فعاد المتقى الى بغداد وبصحبته وزيره ابن مقلة ، فانزلهما منزلا ، وكحل المتقى فاذهب عينيه ، وصاح حرم المتقى وخدمه وعلت أصواتهم فامر توزون بضرب الدبادب حتى لا تظهر أصواتهم « فخفيت اصواتهم وعمى المتقى بالله »(٩٤) ، وأدخل المتقى بغداد فى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م(٩٥) .

ويتضح من سيرة المتقى أنه لم يعد أن يكون العوبة فى أيدى القواد المتنافسين على السلطة من جهة وفى أيدى البريدى وابن رائق والحمدانيين من جهة ثانية(٩٦) .

وعين توزون بعد المتقى أخاه أبا القاسم عبد الله ولقبه المستكفى بالله ، ومات توزون بعد وقت قصير من ولاية المستكفى بالله ، وتولى امرة الأمراء بعده جعفر بن شيرزادة(٩٧) .

وعلى الجملة ، فقد ساءت الأحوال فى الخلافة العباسية فى أواخر

---

(٩٢) مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص٦٧ ، ٦٨ .

(٩٣) احضر توزون لذلك القضاة والعدول والعباسيين والطالبيين ومشايخ الكتاب وحلف بحضرتهم وكتب بذلك كتاب واحكم ووقعت فيه الشهادة من جميع من حضر على توزون . مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص٦٧ .

(٩٤) مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص٧٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ٦ ص٣٠١ والدبادب . جمع دبدب وهو الطبل ، وانظر : النويرى : نهارب الأبت جـ٢٣ ص١٧٧ .

(٩٥) ابن طباطبا : الفخرى ص٢٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٨٢ وانظر :
Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 302 & Shaban, Islamic History Vol 2, P. 160

(٩٦) انظر كتابنا : الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول ص١٦٢

(٩٧) Amir Ali, Op. Cit, P. 303

عهد نفوذ الأتراك سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، وعجزت امرة الأمراء عن وضع حد لذلك الفساد ، بل وصار منصب أمير الأمراء نفسه مجلبة للنزاع من حوله ومعول هدم جديد فيما قد يكون تبقى من رموز الخلافة .

وفى مثل ذلك المناخ الملائم لقوة خارجية لاح فى الأفق بنو بويه الذين كانوا قد تمكنوا من تكوين ملك لهم بفارس وتمكنوا من الأهواز ذات الموقع الاستراتيجى المتميز وصاروا بذلك يطلون عن كثب على وجه العراق الشاحب وجسد الخلافة الواهى .

ثم ان الاضطراب زاد فى بغداد وغلت الأسعار وقلت الأقوات حتى كادت تنعدم فكاتب بعض القادة الأتراك أحمد بن بويه - الذى كان قد أسهم فى مد النفوذ البويهى الى جنوب العراق(٩٨) - يستدعيه لاستنقاذ العراق من وضعه المتردى .

ولم يضيع أحمد بن بويه وقتا وتمكن من دخول بغداد فى ١١ جمادى الأولى سنة(٩٩) ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، واستقبله الخليفة المستكفى بالله مظهرا السرور(١٠٠) .

وبايع أحمد بن بويه الخليفة المستكفى فى حين قلده المستكفى السلطنة وحلف له(١٠١) .

وقد خلع المستكفى على أحمد بن بويه فى ذلك اليوم ألقاب التشريف ، فلقبه معز الدولة(١٠٢) ، ولقب أخاه عليا عماد الدولة ، كما لقب أخاه الآخر الحسن بلقب ركن الدولة ، وأمر أن تضرب ألقابهم

---

(٩٨) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص١٦٦

(٩٩) مسكوية : تجارب الأمم ج٢ ص٨٥ ، ابن الأثير : الكامل ج٦ ص٣١٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص١٧٥ .

(١٠٠) مسكوية : نفس المصدر ج٢ ص٨٥ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٦٦ .

(١٠١) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص٣١٤ ، وانظر : الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ج٢ ص٣٧٨ .

(١٠٢) Saunders : A History of Medieval Islam, P. 135

وكنـــاهم على الدنانير والدراهم(١٠٣) ؛ ولقب المستكفى نفسه امـام الحق(١٠٤) .

وبذلك امتـد نفوذ البويهيـين على الشرق من بحـــر قزوين إلى الخليج العربى ، ومن اكسوس الى العراق(١٠٥) .

ويعتبر الأستاذ الخضرى يوم دخول معز الدولة بغداد « هو تاريخ الدور الثانى للخلافة العباسية ، وهو تاريخ سقوط السلطان الحقيقـى من ايديهم ، وصيرورة الخليفة منهم رئيسيا دينيـا لا امر له ولا نهـي ولا وزير ، وانما له كاتب يدبر اقطاعاته واخراجاته لا غير وصـارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من شاء »(١٠٦) .

وهكذا بدأ بدخول معز الدولة احمد بن بويه بغداد دور جديد فى تاريخ الدولة العباسية امتد ما يزيد عن قرن من الزمان(١٠٧) .

ولم يكن للخلفاء فى هذا العهد مجرد التطلع الى التغيـير او الى محاولة تستهدف اعادة شئ من مهابة الخلافة اليهـا « فطال لذلك حكمهم بعد ان كفوا البويهيين متاعب تدخلهم »(١٠٨) ، واصبحوا مجرد صنائع للبويهيين يجرون عليهم رواتبهم(١٠٩) .

على أننا قبل أن نسنطرد فى بيان العـلاقة بين البويهيـين وبين الخلفاء العباسيين نحب ان نقرر أن ظروف استدعاء البويهيين الى بغداد يختلف تمام الاختلاف عن ظروف دخـول الاتراك ، فقـد بدأ دخول

---

(١٠٣) مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص٨٥ ، أبو المحاسن : النجـوم الزاهـر جـ٣ ص٢٨٥ ، ابن العبـرى : مختصر تاريخ الدول ص١٦٦ وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢١٢ ، وسوف تبدأ من هذا التعامل مع بنى بويه وفقا لهذه الألعاب .

(١٠٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٣٩٧ .

(١٠٥) Saunders; A History of Medieval Islam, P. 135

(١٠٦) الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية جـ٢ ص٣٧٨ .

(١٠٧) Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 303 & H. IBRAHIM, Islamic and History Culture, P. 205

(١٠٨) محمد حلمى احمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص١٦٦

(١٠٩) Brokeelman, History of Islamic People, P. 153

الأتراك كعنصر موازنة بين الفرس والعرب بحيث يشعر كلا من العنصرين بقدرة الخلافة على أن تجد قوة تسندها من دونهما ، وقد بدأ دخـول الأتراك أو الاستعانة بالعنصر التركى فى عهد الخليفة المأمون ثم زاد فى عهد المعتصم ، فهو قد بدأ والخلافة قوية والخلفاء أقوياء .

أما دخول البويهيـين فتـم فى ظروف تختلف كل الاختـلاف عن سابقتها ، فالخلافة تحتضر والخلفاء أشباح والدولة فى أشد حالات التفكك وقد توزعت أقاليمها ، وسلطتها مغلولة فى خارج العراق بل وفى العراق نفسـه الذى طحنته منـازعات الوزراء ومشـاحنات أمراء الأمراء ، والخزانة خارية والشعب فى محنة كاملة وأزمة طاحنة .

فاذا عرفنا أن الأتراك تمكنوا من احكام سيطرتهم الطاغية المتجبرة رغم قوة الخلافة عند قدومهم أدركنا مدى سهولة احكام السيطرة على الخلافة المتهاوية ابان دخول البويهيين الذين كانوا فى سكرة من نشوى انتصاراتهم المتتالية والتى ختموها بدخول بغداد يخدمهم فى ذلك شباب دولتهم وثروة بلادهم التى خضعت لسلطانهم قبل دخولهم العراق(١١٠) .

---

(١١٠) محمد حلمى : الخلافة والدولة فى العصر العباسى .



الفصل الثاني

سيطرة بني بويه
على الخلفاء العباسيين



الفصـــل الثـــانى

« سيطرة بنى بويه على الخلفاء العباسيين

سلب سلطان الخلفاء والتحكم فيهم :

تمكن البويهيين بقيادة معز الدولة من دخول بغداد على اثر استدعائه من قبل بعض القادة من غير مشقة ، وليس ثمة شك في ان مجرد استدعاء الديلم ـ وهم من الشيعة الزيدية(١) ـ لانقاذ الخلافة السنية هو فى واقعه نوع من سخرية الأقدار ، ودليل على افلاس الفكر السياسى ، فقد دخل هؤلاء الحماة الجدد بفكر عقدى لا يعترف بأحقية العباسيين فى الخلافة(٢) .

ولم يكن ثمة شك فى أن أولى خطوات البويهيين كانت ستتركز فى تحويل دفة الأمور الى أيديهم ليظل الخليفة العباسى مجرد شبح لا سلطان له .

ولعل ثمة فرقا بين عصر نفوذ الأتراك وبين عصر نفوذ البويهيين فى مدى سلطة الخليفة الروحية رغم هوانه على الجانبين ؛ ومع ذلك فان عصر نفوذ البويهيين كان امتدادا لعصر نفوذ الأتراك بكل مثالبه ومساوئه ، بل زاد فى عهدهم ما بدأ عليه الخلفاء العباسيون من سلبية ومذلة .

ويميل بعض المؤرخين الى اعفاء البويهيين من مسئولية هوان الخلافة وذاهب ريحها فيقول : « فهم لم يستحدثوا شيئا من النظم ؛ وانما ساروا على سنة انشئت من قبلهم ، وحلوا محل أمراء الأمراء

---

(١) وهم القائلون بامامة زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب فى اسم خروجه ، وكان ذلك فى زمن هشام بن عبد الملك .
الفرق بين الفرق ص٢٢ ، ٢٣
الشهرستانى الملل والنحل ص٢٠٧ .

(٢) ARNOLD, The Caliphate, P. 61 & H.IBRAHIM, Islamic and History Culture, P. 205

أمثال ابن رائق وبجكم وتوروں وغيرهم »(٣). ، فهل من أجل هذا استدعى البويهيون ؟! .

ويجيبنا على هذا السؤال الطور التالى فى حياه الخلافة العباسية عندما استعان الخليفة القائم بامر الله سنه ٤٤٧هـ بالسلاجقة ، فقد دخل السلاجقة بغداد وتمكنوا - فى أول أمرهم من اعطاء دفعة قوية للخلافة العباسية ، وفى نفس الوقت كان لسلطة الخليفة الروحية مكانها فى قلوبهم .

أما طول مدة بعض خلفاء هذا العصر فلا تعود الى استقرار حققه البويهيون ، وانما هى ترجع فى المقام الأول الى الخلفاء انفسهم الذين لم يكن لهم من الأمر غير التسمية « بامير المؤمنين » ولم تبدر منهم بادرة قوية تدل على محاولة أحدهم استعادة سلطانه أو شىء منه. كما رأينا من بعض الخلفاء فى العصر التركى الأول(٤) بل اكتفى هؤلاء من مظاهر الخلافة باقامة الخطبة لهم ونقش اسمهم على السكة(٥) .

وعلى الجملة ، فقد سيطر البويهيون على الخلفاء العباسيين سيطرة كاملة يعالون من يشاءون ويولون من يشاءون(٦) :

١ - بعد دخول معز الدولة - أول ملوك بنى بويه(٣٤٤ - ٣٥٦هـ) فى الحضرة الخليفية(٧) - بغداد فى ١١ جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥(٨) أجبر فى ثانى يوم من وصوله على أن يأذن الخليفة المستكفى لابن شيرزاد بالظهور وأن يستكتبه(٩) ، وكان المستكفى قد حلف الا يتصرف ابن شيرزاد فى أيامه ودولته ، قال دكاء مولى الراضى :

---

(٣) ابراهيم الشريف / العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٥٢٠
(٤) انظر كتابنا : الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول .
(٥) Brokelman, History of Islamic People, P. 152 _
(٦) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص١٧١
(٧) ابن طباطبا : الفخرى ص٢٨٧ .
(٨) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣١٤ . وقد تربع على دست السلطنة فى بغداد اثنين وعشرون سنة (٣٣٤ - ٣٥٦) هـ . حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام العباسى جـ٣ ص٦٤ .
(٩) مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص٨٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٨٥ .

« وكنت حاضرا فاجابه المستكفى على كره منـه ، ورأيت عينيه وقد تغرغرتا بالدموع لعظم ما ورد عليه من سؤال ابن بويه »(١٠) .

وقد انزل معز الدولة اصحابه فى دور الناس ، فلحـق الناس من ذلك شـدة عظيمـة، ورتب معـز الدولة للمستكفى خمسة آلاف درهم يتسلمها كاتبه لنفقات المستكفى(١١) .

ويشبه سيد أمير على موقف معز الدولة من الخليفة العباسى بشارل مارتل بالنسبة للملوك الميروفنجيين فى فرنسـا حيث كانت له السـلطة الحقيقية فى حين كان الخليفة مجرد ظل يتقاضى من الخـزانة العـامة خمسة آلاف دينار فقط(١٢) .

وقد تنكر معـز الدولة للخليفة المستكفى ولما يمضى شـهران على وصوله الى بغداد وذلك فى ٢٢ جمادى الآخرة ٣٣٤هـ/٩٤٦م(١٣) حيث اتهم معز الدولة الخليفة المستكفى بالتآمر عليه مع علم القهرمانة(١٤)، وكانت قد علم قد صنعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم والاتراك .

وكانت شخصية علم تقلق معـز الدولة بما لهـا من سـيطرة على الخليفة ، ولما كان الأمر فى بداية عهد بنى بويه وشخص الخليفـة من الناحية الروحية قد يكون له ما يمكنه من مساندة هذه المراة القـوية باستقطاب بعض من الديلم والاتراك فان ذلك قد يمثل خطورة على معز

---

(١٠) متز / الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ص ٤٠ .

(١١) مسكوية : نفس المصدر السابق جـ٢ ص٨٥ ، أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص٨٥ .

(١٢) AMIR Ali, A Short History of the Saracenes, P. 303

(١٣) Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 303

(١٤) وكانت امـرأة عاقلة قديرة تآمرت على خلع المتقـى وتوليـة المستكفى ، ثم صارت قهرمانة المستكفى ، وصار لها نفوذ كبير واستولت على الأمر كله . ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣٠٢ والقهرمانة : المسيطرة الحفيظة على ما تحت يدها . حسن ابراهيم تاريخ الاسلام السياسى هامش ٢ جـ٣ ص٢٥٥ .

الدولة ، لذلك رأى معز الدولة التخلص من المستكفى وعلم القهرمانة فى وقت واحد .

فحضر معز الدولة والناس عند الخليفة وحضر رسول صاحب خراسان ومعز الدولة جالس ، ثم حضر رجلان من نقباء الديلم وهما يصيحان بالتحية للخليفة المستكفى وتقدما نحوه وتظاهرا برغبتهما فى تقبيل يده فمد المستكفى يده اليهما « فجذباه بها وطرحاه الى الارض ووضعا عمامه فى عنقه وجراه »(١٥) .

وانتهت التمثيلية التى تمت بمواطأة معز الدولة(١٦) ، واضطرب الناس وفى أثناء ذلك ضربت البوقات والطبول(١٧) ، واقتاد الديلميان الخليفة المستكفى ماشيا حتى أوصلاه الى بيت معز الدولة حيث اعتقل بها .

وقد تم ذلك بعد سنة واحدة وأربعة اشهر من خلافة المستكفى(١٧)م وقد قبض الديلم كذلك على ابى أحمد الشيرازى كاتب المستكفى ، ودخلوا الى دار الحرم فقبضوا على علم القهرمانة وابنتها ، ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شىء(١٨) .

ودفع معز الدولة بالمستكفى الى المطيع الخليفة الجديد الذى كان يكره المستكفى حيث كان ينازعه طلب الخلافة ، وحيث كان المستكفى يطلبه وهو يستخفى عند معز الدولة ويحرضه عليه فسمله المطيع وظل فى حبس المطيع حتى مات فى سنة(١٩) ٣٣٨هـ/٩٥٠م .

(١٥) مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص٨٦ ، ٨٧ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢ ص٢٧٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٨٥ .

(١٦) ابن طباطبا : الفخرى ص٢٨٧ .

(١٧) مسكوية نفس المصدر جـ٢ ص٣١٥ ، المقريزى : السلوك ط ق١ ص٣٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢١٢ .

(١٨) مسكوية : المصدر السابق جـ٢ ص٨٧ ، أبو الفدا المختصر جـ٢ ص٩٤ ، الذهبى : دول الاسلام جـ١ ص٢٠٦ .

(١٩) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٦٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٩٩ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٣٩٨ وانظر :

= Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 303

هذا ، وقد بويع الخليفة المطيع (٣٣٤ – ٣٦٣هـ/٩٤٦ – ٩٧٤م) يوم الخميس ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٣٣٤هـ ، وأحضر المستكفى عنده واشهد على نفسه بالخلع(٢٠) .

٢ – استوثق معز الدولة من الخليفة المطيع « فاستحلفه بيمين عظيمة ألا يتغيب عن معز الدولة ولا يبغيه سوءا ولا يمالىء له عدوا »(٢١) .

وسيطر معز الدولة على المطيع سيطرة كاملة بحيث لم يعد له من سلطة أو سطوة ، وفى عهد الخليفة المطيع يقول الذهبى : « فكان من تحت يد معز الدولة لا له معه حل ولا ربط ، وقدر له فى الشهر ثلاثة الاف دينار لنفقته ، وانحطت رتبة الخلافة جدا »(٢٢) ، ويقول ابن طباطبا عن هذا الخليفة : « وكان أمره ضعيفا »(٢٣) ؛ أما أبو الفدا فيقول : « وازداد أمر الخلافة ادبارا ولم يبق له من الامر شىء ، وتسلم نواب معز الدولة العراق بأسره ؛ ولم يبق فى يد الخليفة غير ما اقطعه معز الدولة للخليفة مما يقوم ببعض حاجته »(٢٤) ، ويقول ابن العبرى : « وازداد أمر الخلافة ادبارا ولم يبق للخليفة وزير وانما كان له كاتب يدبر اقطاعه واخراجاته ، وبالجملة لم يبق بيد المطيع الا ما اقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجاته »(٢٥) ، ويشاركه فى ذلك ابن كثير

= ويقول آدم متز « فى القرن الرابع ظهرت عادة سمل الخلفاء للحيلولة دون توليهم منصب الخلفاء احتذاء لعادة الروم البيزنطيين من قبل » . متز : الحضارة الاسلامية جـ٢ ص١٩٧ .

(٢٠) AMIR Ali, Ibid, P. 303

(٢١) مسكوية تجارب الامم جـ٢ ص١٠٦ .

(٢٢) الذهبى : دول الاسلام جـ١ ص٢٠٨ ، وانظر حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى جـ٣ ص٦٣ .
Arnold, the Caliphate, P. 62

(٢٣) ابن طباطبا : الفخرى ص٢٨٩ .

(٢٤) أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص٩٤ وانظر : ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢ ص٢٧٩ .

(٢٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٦٧ .

ثم يقول : « وانما موارد الدولة ومورد المملكة ومصدراها راجـع الى معز الدولة »(٢٦) .

أما المسعودى فيقول : « وغلب على الأمر ابن بويه الديلمى والمطيع فى يده لا أمر له ولا نهـى ولا خـلافة تعـرف ولا وزارة تذكر »(٢٧) ويشاركه فى هذا المقريزى فيقول عن المطيع : « ليس له سوى الاسـم ، والمدبر للأمور معز الدولة ، وقد فرض لنفقة المطيع فى كل يوم مائتى دينار »(٢٨) ، ويفصل ابن الأثير الأمر فيقول : « وازداد أمر الخلافة ادبارا ولم يبق لهم من الأمر شىء البتة ، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشىء فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه »(٢٩) .

ويريحنا ابن الأثير من مشقة التفكير فى الأسباب التى دفعت معـز الدولة الى هذا السلوك مع الخلفاء العباسيين حيث يقول : « وكا من أعظم الأسباب فى ذلك ان الديلـم يتشيعون ، ويغـالون فى التشييع ، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها ، فلم يكن عندهم باعث دينى يحثهم على الطاعة ، حتى لقد بلغنى أن معز اللدولة استشار جماعة من خواص أصحابه فى اخراج الخـلافة عن العباسيين ، والبيعة للمعز لدين الله العلوى أو لغيره من العـلويين ، فكلهم أشار عليه بذلك ماعدا بعض خواصه فانه قال : ليس هذا برأى، فانك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك انه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقـد انت وأصحابك صـحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه فاعرض عن ذلك »(٣٠) .

على اننا نرى الخليفة المطيع العوبة فى يد معز الدولة فى معـارك

---

(٢٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢١٢ .
(٢٧) المسعودى مروج الذهب جـ٤ ص٣٧٢ .
(٢٨) المعزيزى : السلوك ط ق ١ ص٣٨ ، ٣٩ .
(٢٩) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣١٥ .
(٣٠) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٣١٥ وانظـر ، جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشعر والعراق ص٨٧ .

معز الدولة التى كان يحاول بها تثبيت أقدام البويهيين فى العراق(٣١)، وفى هذا المجال نرى معز الدولة يستصحب الخليفة المطيع معه فى حربه مع ناصر الدولة بن حمدان سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م تلك الحرب التى دارت فى بعض أحيانها ضد معز الدولة ، وان تمكن فى النهاية من تحقيق النصر ، وأعاد الخليفة بعد ذلك الى داره فى المحرم سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م بعد أن استوثق منه(٣٢) .

وتكرر امر اخراج المطيع مع معز الدولة فى نفس سنة ٣٣٥هـ ، عندما كان معز الدولة يحارب أبا القاسم عبد الله بن عبد الله البريدى والى البصرة ، وتمكن معز الدولة من هزيمة أبى القاسم الذى فر الى هجر ملتجئا الى القرامطة(٣٣) .

وفى البصرة خلف معز الدولة الخليفة المطيع واتجه للقاء أخيه عماد الدولة بارجان ، وبعد انتهاء زيارة معز الدولة لعماد الدولة عاد الى بغداد وعاد المطيع أيضا اليها(٣٤) .

ومما يدل على ما وصل اليه حال المطيع لله مع بنى بويه ما قاله عندما أغار الدمستق(٣٥) ملك الروم على بعض بلاد الاسلام فى جموع كثيرة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م وتمكن من دخول نصيبين واستباحتها مدة

---

(٣١) يذكرنا ذلك بالخليفة الراضى بالله الذى كان ألعوبة فى يد محمد بن رائق أمير امرائه الذى أخرجه معه الى واسط لمحاربة أبى عبد الله البريدى صاحب الأهواز ، ثم فى يد يحكم أمير الأمراء الجديد الذى سيره معه لحرب محمد بن رائق انظر كتابنا الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول ص١٤٧ .

(٣٢) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣٢٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٩٥ ، مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص١٠٥ .

(٣٣) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٢٥ ، مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص١١٢ .

(٣٣) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٢٥ ، مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص١١٢ .

(٣٤) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٢٦ ، مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص١١٣ .

(٣٥) دمستق : كلمة لاتينية Domesticus وهو قائد جيوش الروم . ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول حاشية رقم ١ ص١٦٩ .

خمسه وعشرين يوما ، مما دفع بقدوم المستغيثين الى بغداد حيث ضجوا فى الجوامع ، وكسروا المنابر ، ومنعوا من الخطبة ، وصاروا الى دار المطيع ، وخلعوا بعض شبابيكها ، وفى نفس الوقت توجه بعض من أهل الدين والعلم الى عز الدولة بختيار[٣٦] (٣٥٦ ـ ٣٦٧هـ) ، ولاموه على توجهه بالحرب الى غير أعداء المسلمين ، وأنه يصرف زمانه الى القبض على أرباب الدواوين .

وكان من الغريب أن يتوجه ابو الفضل الشيرازى وزير البويهيين الى المطيع لله قائلا : « يجب أن تعطى ما تصرفه فى نفقة المجاهدين » ، فقال المطيع له : « انما يجب على ذلك اذا كنت مالكا لامرى ، وكانت الدنيا فى يدى غير القوت الذى يقصر عن كفايتى فما يلزمنى غزو ولا حج ، وانما لى منكم الاسم على المنبر فان آثرتم أن اعتزل اعتزلت »[٣٧] .

وهكذا حدد المطيع بنفسه كل ما كان للخليفه فى عهد بنى بويه « الاسم على المنبر » الذى يسكن به بنو بويه الرعية[٣٨] .

ومع ذلك فان المطيع اضطر امام تهديد بختيار الى أن يلتزم بدفع اربعمائة ألف درهم اضطر من أجل الحصول عليها الى أن « باع أنقاض داره وثيابه »[٣٩] ، وشاع بين الناس أن الخليفة قد صودر[٤٠] .

ولم يستخدم بختيار هذه الأموال فى محاربة الروم بل انه صرفها فى مصالحه الخاصة[٤١] ، فى حين تمكن هرارود غلام أبى الهيجاء بن

---

(٣٦) خلف اباه عز الدولة فى وظيفة امير الأمراء بعد وفاة معز الدولة سنة ٣٥٦ هـ .
Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 304.
مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص١٣٢ .

(٣٧) الهمزانى : تكملة تاريخ الطبرى ص٤٢٨ وابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٤٥ ، أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص١١٢ .

(٣٨) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص١٧٢

(٣٩) الهمزانى : المصدر السابق ص٤٢٨ ، وابن الأثير : المصدر السابق جـ٧ ص٤٥ ، أبو الفدا : المصدر السابق ص١١٢ .

(٤٠) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص٤٥ .

(٤١) ابن الأثير نفس المصدر جـ٧ ص٤٥ .

حمدان وأبو القاسم هبة الله بن ناصر الدولة من هزيمة الدمستق وأخذه أسيرا([٤١م]) .

وثمة مثل آخر يدل على مدى ما وصل اليه مركز الخليفة المطيع في الصراع الذى دار بين عز الدولة بختيار وسبكتكين الحاجب([٤٢]) حيث تمكن سبكتكين من حصار دار عز الدولة بختيار مدة يومين ، وأنزل منها أهل عز الدولة ونهب ما فيها وأحدرهم الى دجلة والى واسط منفيين ، ووصل الأمر به الى العزم على ارسال الخليفة معهم ، فتوسل اليه الخليفة فعفا عنه سبكتكين وتركه بداره([٤٣]) .

فاذا اضيف مرض الخليفة المطيع بالفالج في سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م حتى ان جانبه الأيمن استرخى وثقل لسانه([٤٤]) ، لم يكن من صالحه بعد ذلك أن يتمسك بخلافة لا يناله منها الا الهوان فاستجاب لسبكتكين حين دعاه الى خلع نفسه من الخلافة فخلع نفسه منها ليسلمه سبكتكين بعد ذلك الى ابنه الطائع([٤٥]) (٣٦٣ - ٣٨١هـ/٩٧٣ - ٩٩١م) وذلك في ١٣ ذى القعدة سنة ٣٦٣هـ/٣٨١م ، وكان صورة كتاب الخلع الذى كتبه المطيع : « هذا ما أشهد على متضمنة أمير المؤمنين المطيع لله بن المقتدر بالله حين نظر لدينه ورعيته ، وشغل بالعلة الدائمة عما كان يراعيه من الأمور الدينية اللازمة ، وانقطع افصاحه عما يجب عليه في ذلك ، فرأى اعتزال ما كان عليه من هذا الأمر وتسليمه الى ناهض به قائم

(٤١م) ابن الأثير . نفس المصد جـ٧ ص٤٥

(٤٢) أصل سبكتكين من مماليك عز الدولة الأتراك وخلع الخليفة الطائع الامارة عليه بدلا من استاذه عز الدولة . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص١٠٨ .

(٤٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٧٥ .

(٤٤) الهمزانى : تكملة تاريخ الطبرى ص٤٢٢ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٧٠ ، ابن العماد الجبلى . شذرات الذهب جـ٣ ص٢٨ وانظر

Amir Ali, A Shirt History . P. 304

(٤٥) هو عبد الكريم بن الفضل المطلع لله بن جعفر بن المقتدر بن المعتضد وكنيته الطائع . المختصر جـ٢ ص١٠٣ ، ابن العبرى : مختصر الدول ص١٧١ .

H. Ibrahim, Islamic and History Culture, P. 207

بحقه ممن يرى له الرأى عقده له واشهد بذلك طوعا »(٤٦) ٠

ولا يمكن اعتبار هذا الخلع جاء نتيجة لضيق من تصرفات الخليفة او خوف من سطوته وانما هو أمر فرضته دواعى المرض ٠

وهكذا انتهت فترة خلافة المطيع التى كان فيها لبنى بويه اسما على مسمى ٠

٣ ـ آلت الامور الى الخليفة الطائع لله ، ولم يكن حاله مع بنى بويه باحسن من المستكفى أو المطيع ، فقد سيطر عليه عضد الدولة بن بويه أعظم رجالات بنى بويه (٣٦٧ ـ ٣٧٢هـ) حتى ان الامر كله كان له ، وحتى ان الطائع أمر بان تضرب على بابه الدبادب فى وقت الصبح والمغرب والعشاء وأن تخطب له على المنابر قال أبو المحاسن : « وهذا أول ملك دقت الطبلخانة(٤٧) على بابه ، وصار ذلك عادة من يومئذ »(٤٨) وأضاف : « وقال الحافظ ابو الفرج بن جوزى : « وهذان أمران لم يكونا من قبله ولا اطلقا لولاة العهود ، ولا خطب بحضرة السلطان الا له ، ولا ضربت الدبادب الا على بابه ، وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبى : « وما ذاك الا لضعف أمر الخلافة »(٤٩) ٠

وفى مكان آخر يبين ابو المحاسن اتساع سلطان عضد الدولة حيث يقول : « وبلغ سلطانه من سعة المملكة والاستيلاء على الممالك ما لم يبلغه أحد من بنى بويه ، ودانت له البلاد والعباد ، وهو أول من خوطب

(٤٦) ابن الاثير : الكامل جـ٧ ص٥٣ هامش ١ ، قال ابو المحاسن : « وانقطع المطيع بداره ، وكان يسمى بعد ذلك الشيخ الصالح الى أن جاءت فى سنة ٣٦٤ هـ » ٠ النجوم الزاهرة جـ٤ ص١٠٥ ٠

(٤٧) الطبلخاناه : كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل ويشتمل على الطبول والابواق ٠ البقلى : مصطلحات صبح الاعشى ص٢٢٨ ٠

(٤٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص١٣٢ ٠
وانظر : السلوك : ط ق ١ ص٤٧ ٠

(٤٩) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص١٣٢ ٠

بالملك شاهنشاه فى الاسلام ، وأول من خطب له على منابر بغداد بعد الخلفاء ، وأول من ضربت الدبادب على باب داره »(٥٠) .

ويبين ابو المحاسن تدرج امر الطائع مع عضد الدولة حيث يقول عند خروج الخليفة لتلقى عضد الدولة اذا خرج من بغداد وعاد اليها : « ولم يكن ذلك بعادة أن الخليفة يلاقى أحدا من الأمراء » ثم أضاف « قلت : وهذا كان اولا ، واما فى الآخر فان الطائع كان قد بقى تحت أوامر عضد الدولة كالأسير »(٥١) .

وقد بلغ من قوة عضد الدولة وضعف المطيع أن تم الزواج بين الطائع وابنة عضد الدولة ، ذلك الزواج الذى كان له هدفه من كلا الطرفين ففى حين كان يرمى الطائع الى التقوى بعضد الدولة وكف أذاه عنه ، كان عضد الدولة يرمى من وراء ذلك الزواج أن تلد ابنته ولدا ذكرا فيجعله ولى عهده ، فتكون الخلافة فى ولد لهم فيه نسب(٥٢) .

هذا ، وقد تكرر مع الطائع ما سبق أن حدث مع المستكفى وذلك فى عهد بهاء الدولة ابو نصر فيروز البويهى (٣٧٩ - ٤٠٥هـ/٩٨٩ - ١٠١٨م) الى حين احتاج بهاء الدولة الى الأموال نتيجة لحروبه مع الطامعين فى منصبه من آل بويه وشعب عليه الجند ، فقبض بهاء الدولة على وزيره سابور ليستخلص منه مالا فلم يجد عنده ما يكفيه ، فأشار البعض عليه بالقبض على الطائع عنفسه ليفوز بالكثير من المال ، فارسل بهاء الدولة الى الطائع يلتمس منه المثول بين يديه لتجديد الطاعة والولاء له ، فاذن له الخليفة فى ذلك ، فلما دخل بهاء الدولة قبل الأرض ، وأجلس على كرسى ، ثم دخل بعض الديالمة وتظاهر برغبته فى تقبيل يد الخليفة ، فلما مد الخليفة يده له جذبه فأنزله عن سريره ، والخليفة يقول : « انا لله وانا اليه راجعون ».وهو يستغيث فلا يلتفت اليه ، ثم أخذ ما فى داره الى بهاء الدولة ونهبت دار الخلافة(٥٣) .

---

(٥٠) أبو المحاسن نفس المصدر جـ٤ ص١٨٢ .
(٥١) أبو المحاسن : نفس المصدر جـ٤ ص١٣٨ .
(٥٢) انظر كتابنا : الزواج السياسى فى عهد الدولة العباسية ص٧٣ .
(٥٣) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص١٤٨ .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل حمل الخليفة الطائع الى بهاء الدولة حيث اشهد فيها على نفسه بالخلع بعد خلافة دامت قرابة ثمانية عشر عاما تحت التسلط البويهى الكامل(٥٤) ، وتولى الأمر من بعده الخليفة القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢هـ/٩٩١ - ١٠٣١م) .

وذكر مسكويه أمر القبض على الخليفة الطائع دون وصف طريقة القبض عليه وقال : « فاما شرح ما جرت عليه الحال يوم القبض فلم ندكره اذ لا سياسة فيه فتحكى ولا فضيلة فيه فتروى »(٥٥) ، ثم أورد ابياتا للشريف الرضى الذى كان حاضرا آنذاك(٥٦) .

وهكذا انتهى أمر الطائع على نفس الصورة التى انتهى اليها أمر المستكفى وبنفس التمثيلية التى جرت مع المستكفى بمواطأة بويهية ، وان لم ينله أذى من القادر كما سبق للمستكفى على يد المطيع ، وان قيل أنه « بقى مدة وقطع اذنه ، وبقى أياما وقطع راس انفه ومثل به »(٥٧) .

وقد وصف المؤرخون مبلغ ما وصل اليه ضعف الخليفة الطائع ، فقال ابن الأثير : « ولم يكن له من الحكم فى ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته »(٥٨) .

وقال ابن طباطبا : « وفى أيامه قويت شوكة بنى بويه »(٥٩) .

اما المقريزى فيقول : « فمكث الطائع سبع عشرة سنة وتسعة اشهر

---

(٥٤) الفارقي : تاريخ الفارقى ص٦٤ ،
Amir Ali, A Short History of the Saracens, P.305

(٥٥) مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص٢٠١ .

(٥٦) قال الشريف الراضى :

من بعد ما كان رب الملك مبتسما ... الى أدينه فى النجوى ويدنينى
أمسيت أرحم من أصبحت أعبطه ... لقد تقارب بين العر والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكنى ... يا قرب ما عدا بالضراء يبكنى
هيهات أغتر بالسلطان ثانية ... قد ضل ولاج أبواب السلاطين

تجارت الأمم جـ٢ ص٢٠٢ ، ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص١٤٨ .

(٥٧) الفارقى : تاريخ الفارقى ص٦٣ .

(٥٨) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٤٨ ، أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص١٢٧

(٥٩) المقريزى : السلوك ط ق١ ص٣٩ .

وستة أيام محكوما عليه ببنى بويه ثم خلع وحبس فقيرا ذليلا حتى مات »(٦) .

٤ - أما في عهد الخليفة القادر (٣٨١ - ٤٢٢هـ/٩٩١ - ١٠٣١م) فقد استبد بالسلطة به أربعة من ملوك بنى بويه تلا أحدهم الآخر وهم بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة وسلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة وشرف الدوله ابو على بن بهاء الدولة وجلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة ، ولم يكن للخليفة القادر سوى السلطان الروحى(٦٠) وتميز هذا العهد بأنه عهد اضطراب بين أهل البيت البويهى مما أضعف من سلطانهم وهدد البيت كله بالانحلال(٦١) .

وعلى ذلك يمكن القول بأن الخليفة القادر لم يكن يختلف وضعه عمن مضى قبله من الخلفاء مع سلاطين بني بويه ، وان كان ضعف البيت البويهى آنذاك أتاح له شيئا من الكلمة والنفوذ(٦٢) .

٥ - ولم يقل استبداد بنى بويه في عهد القائم بالله بن القادر (٤٢٢ - ٤٤٧هـ/١٠٣١ - ١٠٥٥م) عن من سبقه من الخلفاء(٦٣) ، وشهد عهده انحلال أمر الخلافة والسلطنة جميعا ببغداد(٦٤) .

ونرى بعد استعراض أحوال الخلفاء العباسيين في ظل البويهيين صدق ما قاله توماس ارنولد عن خلفاء هذه الحقبة بأنهم كانوا « لا قيمة لهم في الوقت الذى غدا غيرهم أكثر قوة ونفوذا ، وأصبحوا يديرون العالم الاسلامى من غير أن يشيروا أو يحفلوا بمن يدعى أنه أمير المؤمنين، بل وقد اصبحوا العوبة في ايدى سلاطين بنى بويه ويجلسوهم على العرش ويعزلونهم متى شاءوا وشاءت أهواؤهم »(٦٥) .

---

(٦٠) Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P.306

(٦١) الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية جـ٢ ص٤٠٩ .

(٦٢) الخضرى : نفس المصدر جـ٢ ص٤٠٩ ، محمود شاكر : التاريخ الاسلامى (الدولة العباسية) ص١٨٧ ، ١٨٨ .

(٦٣) على ابراهيم : النظم الاسلامى ص٨٩ : وقد شهد عهد القائم بدء عصر نفوذ السلاجقة وامتد حكمة حتى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م .

(٦٤) الخضرى : المصدر السابق جـ٢ ص ٤١٠ .

(٦٥) Arnold, The Caliphate, P. 68

السيادة الدينية والسياسية لبنى بويه :

لم يقف حد سيطرة البويهيين على الخلفاء العباسيين عند سلبهم سلطانهم والتحكم فيهم بل انهم أحبوا أن يكون لهم مثل ما للخلفاء من مظاهر السيادة الدينية والسياسية وفى هذا المجال نرى :

لقب الخليفة المستكفى أبناء بويه الثلاثة بالقاب معز الدولة وعماد الدولة وركن الدولة(٦٦) ، كما أن المستكفى كرم معز الدولة فاعطاه « الطوق والسوار وآلة السلطنة وعقد له لواء »(٦٧) ، كما أمر أن تضرب القاب بنى بويه وكناهم على السكة(٦٨) ويقول القلقشندى فى هذا الخصوص « ان أول من نقش اسمه على الدنانير والدراهم مع الخلفاء معز الدولة بن بويه واخوته من الديلم القائمين على الخلفاء العباسيين ببغداد »(٦٩) .

وفى عهد الخليفة الطائع خطب لعضد الدولة بن بويه فى بغداد « ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد ببغداد »(٧٠) ، وضرب على بابه ثلاثة نوب وهذا أمر لم تجر به عادة من تقدمه » ، ويقول مسكويه عن الخطبة لعضد الدولة وضرب النوب عند بابه : « وهذان الأمران من الأمور التى بلغها عضد الدولة واختص بها دون من مضى من الملوك على قديم الأيام وحديثها »(٧١) . وكان ضرب الدبادب والطبول من علامات سيادة الخليفة ببغداد(٧٢) ، وقد أجاز الطائع لعضد الدولة ضربها ثلاث

---

(٦٦) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣١٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص٢٨٧

(٦٧) ابن طباطبا : الفخرى ص٢٨٧ ، وانظر : جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص٥٧ .

(٦٨) ابن الأثير : المصدر السابق ص٣١٤ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٦٦ .

(٦٩) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص٥٧ ، وانظر
Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P.304

(٧٠) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص ٩٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٤٠٧ .

(٧١) مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص٣٩٦ .

(٧٢) سرور : الحضارة الاسلامية ص٥٧ .

مرات يوميا فى الصباح ثم المغرب ثم وقت العشاء(٧٣) •

قال ابن خلكان : « وهو أول من خوطب بالملك فى الاسلام ، وأول من خطب له على المنابر ببغد'د بعد الخليفة ، وكان من جملة القابه « تاج الملة » »(٧٤) ، وقال المقريزى : « وضرب عضد الدولة أيضا على بابه الطبول ثلاث نوبات ولم تجر بذلك عادة من تقدمه ، ونعت الملك السيد شاهنشاه الأجل المنصور ، ولى النعـم تاج الملة »(٧٥) ؛ ويروى ابو شجاع عن عضد الدولة نفسه قوله : « الأرض أضيق عرضـة من ان تسع ملكين »(٧٦) •

وقد بلغ عضد الدولة من علو الشان درجة عالية بعد أن اضيف اليه لقب تاج الملة وذلك بعد أن عقـد له الخليفة الطـائع الى جانب اللواء الأبيض الذى كان يمنح لأمراء الجيوش اللـواء المذهب الخاص بولاة انعهود ، فكان أول من تلقب بلقبين من الامراء(٧٧) ، وكان عضد الدولة نفسه هو الذى حمله على ذلك ، وقد فوض الخليفة عضد الدولة على الملأ مخالفا بذلك ما جرت به العادة من تقاليد الخليفة ، وفى ذلك يقول السيوطى : « وسال عضد الدولة الطائع أن يزيد فى القابه تاج الملة ويجدد الخلع عليـه فاجابه » ، ثم يذكر صيغة التفويض فيقول : « فقـال له الطائع : « وقد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله الى من أمور الرعية فى شرق الأرض وغربها وتدبيرها فى جميع جهاتها سوى خاصتى وأسبابى فتول ذلك »(٧٨) •

وعنـدما آل الأمر الى صمصام الدولة فى سـنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م فان الخليفة خلع عليه الخلع السبع والعمة والسوداء وسوره وطوقه وعقد له لوائين ثم حمل صمصام الدولة على فرس بمركب من ذهب وقيد بين

---

(٧٣) مسكوية : المصدر السابق جـ٢ ص٣٩٦ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٤٠٧ •
(٧٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ ص٥١ •
(٧٥) المقريزى : السلوك ط ق١ ص٤٧، ٤٨ ، وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٩٩ •
(٧٦) أبو شجاع : ذ• تجارب الأمم ص٣٩ ، ٤٠ •
(٧٧) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص٥٨ •
(٧٨) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٤٠٨ •

يديه مثله ، وقرىء عهده بتقليده الامور فيما بلغت الدعوة من جميع الممالك وعاد الى داره ، وجددت له البيعة وأطلق رسومها واقيمت الدعوة وغيرت السكة[٧٩] .

ونرى الأمر يتكرر مع شرف الدولة أبى الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة (٣٧٦ – ٣٧٩هـ) حيث كتب الخليفة الطائع عهدا له ، وولاه ما وراء بابه ، وعقد له لوائين ولقبه شاهنشاه .

وبعد وفاة شرف الدولة بخمسة أيام ركب بهاء الدولة أبو نصر فيروز الى دار الخلافة ، فخلع عليه الخليفة الطائع ، ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة ، وقرىء عهده بين يديه بالتقليد[٨٠] ؛ كما خلع كذلك على صمصام الدولة بن عضد الدولة وعقد له لواءين وحمله على فرس ولقبه شمس الملة ، وأمر بقراءة عهده بتقليده ونقش اسمه على السكة[٨١] .

وفى سنة ٣٨١هـ/٩٩١م قلد الخليفة القادر بهاء الدولة ما وراء بابه بحضور الأشراف والقضاة والشهود[٨٢] .

وفى سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م عندما قدم سلطان الدولة بن بهاء الدولة الى بغداد ضرب الطبل فى أوقات الصلوات الخمس ، وكان جده عضد الدولة – كما رأينا – يفعل ذلك فى أوقات ثلاث صلوات[٨٢] . وفى سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م تولى جلال الدولة أبو طاهر (٤١٦ – ٤٣٥هـ/١٠٢٥ – ١٠٤٤م) الذى لقب بعلم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الدولة ، وهو أول من لقب بالألقاب الكثيرة[٨٣] ثم طلب من الخليفة القادر أن يبايع لأبى كاليجار ولى عهد أبيه سلطان الدولة الذى استخلفه بهاء الدولة عليهم ، فتوقف فى الجواب ثم وافقهم على ما ارادوا واقيمت

---

(٧٩) ابو شجاع : ذ. تجارب الأمم ص٨٤ .

(٨٠) Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P.305

(٨١) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٥٦ Amir Ali, Ibid, P. 305

(٨٢) أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص ١٥٠ ، ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٣٩٩ ويذكر ابن العماد أن الطبول ضربت فى أوقات الصلوات الخمس فى سنة ٤٣٦هـ لأبى كاليجار فى بغداد ، وأنها لم تضرب لأحد قبلة الا ثلاث مرات . ابن العماد : شذرات الذهب جـ٣ ص٢٥٦ .

(٨٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص١٨ .

الخطبـة للملك أبى كاليجار ، وقد لقب أبو كاليجـار سلطان الدولة شاهنشاه عز الملوك(٨٤) •

وفى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م سال جلال الدولة الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ - ١٠٣١/٤٤٧ - ١٠٥٦م) ليخاطب بملك الملوك فامتنع ، ثم اجابه الى ذلك بعد ان افتى الفقهاء بجواز ذلك اللقب ، وخطب لجلال الدولة بملك الملوك(٨٥) •

وتكرر الأمر فى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م بعد وفاة أبى كاليجار وتولى أبى نصر خسرو الذى أحضر الجند واستحلفهم ، ثم راسل الخليفة القائم بأمر الله يطلب منـه الخطبـة له ، ويطلب منـه تلقيبه بلقب « الملك الرحيم » ، وقد خطب القـائم بأمر الله له وخلع عليه الخـلع وطوقه وسوره ، ولكنه رفض تلقيبه بالملك الرحيم وقال : « لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى »(٨٦) ، فابى أبو نصر الا أن يكون هذا لقبـه فكان له ما أراد وسمى « الملك الرحيم »(٨٧) ، وذلك أن الخليفة القائم كان مسلوب الارادة شان من سبقه من الخلفاء مع بنى بويه(٨٨) •

ومع أن البويهيين استولوا على كل ما للخلافة من سيادة وتلقبـوا بأفخم الألقاب فانهم تركوا للخلفاء مظهرهم الدينى باعتبارهم رؤسـاء المسلمين ، وكان هذا أمرا تحتمه الضرورة السياسية فهم شيعة فى دولة سنية ، ولعل هذا ما عناه البيرونى المؤرخ حين قال : « ان الدولة والملك قد انتقل فى آخر أيام المتقى ، وأول أيام المستكفى من آل العباس الى آل بويه ، والذى بقـى فى أيدى الدولة العباسية انمـا هو أمر دينـى

---

(٨٤) المقريزى : السلوك ط ق١ ص٤٩ •

(٨٥) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص١٦ ، أفتى بذلك القاضى أبو الطيب الطبرى والقاضى ابو عبد الله الصيرمى والقاضى ابن البيضاوى وابو القاسم الكرحى وامتنع من القضاه أبو الحسن الماوردى •

(٨٦) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص٤٨

(٨٧) ابن كثير . البدايه والنهـاية جـ١٢ ص٥٧ وانظـر : الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية جـ١٢ ص٤١٢ •

(٨٨) Arnold · The Caliphate, P 68

اعتقادى لا ملك دنيوى فالقائم ولد العباس الآن (أى فى عهده) هو رئيس الاسلام لا ملك »(٨٩) .

وقد كان عنصر اختيار البويهيين بارزا فى اختيار الخلفاء فلدى بيعة المطيع بايعه معز الدولة وسلم اليه المستكفى(٩٠) ، وعندما قبض بهاء الدولة على الخليفة الطائع فى سنة ٣٨١هـ كتب بهاء الدولة على لطائع كتابا بالخلع من الخلافة ، وأشهد عليه الأشراف وغيرهم وسلم الخلافة الى القادر بالله(٩١) ، وقد موه بهاء الدولة وأصحابه على الحاضرين عندما قيل على المنبر : « اللهم أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله ولم يذكروا اسمه »(٩٢) .

أما بخصوص توليه القادر بالله - فى مرض موته - عهده لابنه القائم فانه لا يعطى عصر تسلط البويهيين سمة التسائح فى اعطاء حق تولية العهد للخلفاء العباسيين اذ أن هذا الأمر قد تم سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م والبويهيين قاب قوسين من انتهاء دولتهم على يد السلاجقة فى سنة ٤٤٧هـ .

وهكذا ، نرى أن البويهيين سلبوا الخلفاء كل سلطانهم وغلوا ايديهم وتحكموا فيهم خلعا وتولية ، ومن الغريب بعد ذلك أن يغبط هؤلاء الخلفاء لأن البويهيين كانوا يراعون مظاهر احترامهم فى الحفلات ، وأن الخليفة كان يستقبل السفراء ويلبس بردة النبى ﷺ ويضع أمامه مصحف عثمان توكيدا لسلطته الدينية(٩٣) . ولا عبرة لمثل ما أورده السيوطى عن تلك المظهرية الخلبفية حيث يقول فى أحداث سنة ٣٦٩هـ/٩٨٠م «ورد رسول العزيز صاحب مصر بعداد ، وسأل عضد الدولة الطائع أن يزيد فى القابه تاج الملة ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فاجابه ؛ وجلس

---

(٨٩) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص٥٩ .

(٩٠) الهمزانى : تكملة تاريخ الطبرى ص٣٥٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣١٥ .

(٩١) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٤٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص١٥٩ وانظر Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 305

(٩٢) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٤٨ .

(٩٣) على ابراهيم : النظم الاسلامية ص ٩٠ .

الطائع على السرير وحوله مائة بالسوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة وبيده القضب ، وهو متقلد بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وضربت ستارة بعثها عضد الدولة ، وسال ان تكون حجابا للطائع حتى لا يقع عليه عين أحد من الجند قبله .

ودخل الاتراك والديلم ، وليس مع أحد منهم حديد ، ووقف الاشراف واصحاب المراتب على الجانبين ، ثم أذن لعضد الدولة فدخل، ثم رفعت الستارة وقبل عضد الدولة الأرض ، فارتاع زياد القائد لذلك ، وقال لعضد الدولة : ما هذا أيها الملك ؟ أهذا هو الله ؟! فالتفت اليه وقال : هذا خليفة الله فى الأرض »[٩٤] .

ثم ولعل توضيح ذلك المظهر الكاذب يوضحه السيوطى نفسه حين يقول : « انظر الى هذا الأمر ، وهذا الخليفة المستضعف الذى لم تضعف الخلافة فى زمن احد ما ضعفت فى زمنه ، ولا قوى أمر سلطان ما قوى امر عضد الدولة »[٩٥] ، كما توضحه نهاية وصف ذلك المظهر الذى وصفه السيوطى حين انتهى ذلك الحفل الذى تجلت فيه أبهة الخلافة كما يقال بذلك التفويض الرسمى العلنى من الخليفة والذى كان يعنى اعترافه المذل بان هذا المظهر الكاذب هو كل ماله ولا شيء غيره ، انتهى الحفل بقول الخليفة لعضد الدولة : « قد رأيت ان افوض اليك ما وكل الله تعالى الى من أمور الرعية فى شرق الأرض وغربها وتدبيرها فى جميع جهاتها سوى خاصتى وأسبابى ، فتول ذلك مستخيرا بالله »[٩٦] .

ولعل الحقيقة الانصع تظهر عندما ساءت العلاقة بين عضد الدولة والطائع فقد أمر عضد الدولة بحذف اسم الطائع من الخطبة فى بغداد وغيرها من المدن مدة شهرين كاملين ، وفى اجباره الخليفة على أن يأمر بضرب الدبادب أمام داره ثلاث مرات فى اليوم متشبها فى ذلك بالخليفة نفسه ، ثم أخيرا فى طريقة عزل الطائع المهينة .

ويتضح لنا من كل ما تقدم أن ما يقال عن أن الخلافة كان لها بهاؤها

---

(٩٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٤٠٧ ، ٤٠٨ .
(٩٥) السيوطى : نفس المرجع ص٤٠٨ .
(٩٦) السيوطى : نفس المرجع ص٤٠٨ .

ورواؤها فى عهد بنى بويه(٩٧) أمر يكذبه واقع العلاقة بين البويهيين والخلافة .

والحق أنه لم يبق شيء لم يغتصبه البويهيون من الخلفاء العباسيين الذين عاشوا فى عهدهم سوى لقب الخلافة وما يتعلق به من مظهرية كاذبة .

وحتى فيما يتعلق بلقب الخلافة فقد سمت اطماحهم اليه عن طريق غير مباشر فقد راودت الاحلام عضد الدولة الى أن تكون الخلافة فى ولد للبويهيين فيه نسب فتزوج الطائع من ابنته ويعبر ابن الاثير عن ذلك ويقول : « تجددت وصلة بين الطائع وبين عضد الدولة ، فتزوج الطائع ابنته ا وكان غرض عضد الدولة أن تلد ابنته ولدا ذكرا ، فيجعله ولى عهده فتكون الخلافة فى ولد لهم فيه نسب »(٩٨) .

ولقد أعتبر بعض المؤرخين يوم دخول البويهيين الى بغداد (١١ جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ) تاريخ الدور التالى للخلافة العباسية وهو تاريخ سقوط السلطان الحقيقى من أيديهم وصيرورة الخليفة منهم رئيسا دينيا لا أمر له ولا نهى ولا وزير وانما له كاتب يدبر اقطاعاته واخراجاته لا غير »(٩٩) وهو القول الصحيح .

---

(٩٧) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام العباسى ص٢٥٦ .
(٩٨) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٠٢ ، وانظر : ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٧١ ، ١٧٢ ، وانظر زواج البويهيين السياسى فى كتابنا : الزواج السياسى فى عهد الدولة العباسية .
(٩٩) الخضرى : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية جـ٢ ص٣٧٨ .

الفصل الثالث

محاولة

« السيطرة المذهبية على الدولة »



الفصـــــل الثـــــالث

محـــــــاولة

« السيطرة المذهبية على الدولة »

اشرنا فيما سبق الى ان البويهيين كانوا شيعة على المذهب الزيدى الذى قيض له الانتشار فى بلاد الديلـم بدءا من فرار يحيى بن عبد الله الى تلك البلاد ــ بعد فشل ثورة محمد النفس الزكية ــ الذى نجح فى تكوين رأى عام شيعى ، ثم ارتبط اهل هذه البلاد كذلك فى احدى المراحل بثائر شيعى فى الرى هو الحسن بن زيد العلوى(١) ؛ وكان لذلك الارتباط أثر أقوى فى نشر الاسلام بصبغته الشيعية فى هذه المنطقة من الحـركة الأولى(٢) .

ورأينا داعية شـيعى آخر يدخل بلاد الديلم ويقيم بهـا نحـوا من اربع عشرة سنة هو الحسن بن على الملقب بالأطروش(٣) الذى أعانه فى تلك البلاد بعض القادة المهرة من أمثال ما كان بن كالى الذى بدأ اتصال بنى بويه به جنودا فى جيشه ثم قوادا .

ويتبين من هذا تأثر بنى بويه بتلك النشأة الشيعية الثورية(٤) ، ولا غرو بعد ذلك ان يكون دخولهم الى بغداد بعقيدتهم فى عدم أحقيـة العباسيين(٥) بالخلافة له من الآثار ما يمكن رصده :

كان أول مسلك فى هذا الاتجاه ما حاوله أو فكر فيه معـزّ الدولة احمـد بن بويه من نقـل الخـلافة العباسية الى البويهيـين حيث كان البويهيون « يتشيعون ويغـالون فى التشييع ، ويعتقـدون أن العباسيين

---

(١) المقريزى : السلوك ط ق١ ص٤٣ .
(٢) محمـد حلمى أحمـد : الخـلافة والدولة فى العصر العبـاسى ص ١٨٠ .
(٣) المقريزى : السلوك ط ق١ ص٤٣ .
(٤) قال ابن الـوردى : « كانوا من المتوغلين فى الشـيعة » تتمـة المختصر ج٢ ص٣١٩ .
(٥) H. Ibrahim, Islamic and History Culture, P. 205

قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقبها » ، ويقول ابن الأثير : « لقد بلغنى أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه فى اخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوى أو لغيره من العلويين ، فكلهم اشار عليه بذلك ماعدا بعض خواصه فانه قال : ليس هذا برأى : فانك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه »(٦) ، فاعرض معز الدولة عن ذلك .

ويقول محمد بن عبد الملك الهمذانى : « وعزم معز الدولة على أن يبايع أبا الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوى ، فمنعه الصيمرى من ذلك ، وقال : « اذا بايعته استنفر عليك أهل خراسان وعوام البلدان ، وأطاعه الديلم ، ورفضوك ، وقبلوا أمره فيك ، وبنو العباس قوم منصورون ، تعتل دولتهم مرة وتصح مرارا ، وتمرض تارة وتستقل أطوارا ، لأن اصلها ثابت وبنيانها راسخ »(٧) .

ويبدو ان معز الدولة كان على وشك أن يفعل ذلك بعد خلع المستكفى ، ولكنه اخذ بنصيحة حلصائه فلم يقبل(٨) ، ومن ثم نقل الخلافة الى أبى القاسم الفضل بن المقتدر بالله الذى تلقب بالمطيع ، وقد بين ابن كثير دافع معز الدولة وراء ذلك فقال « فلما فهم ذلك صرفه عن رأيه الأول وترك ما كان عزم عليه للدنيا لا لله عز وجل »(٩) .

والحق أنه لو أقدم معز الدولة على نقل الخلافة الى الفاطميين لارتكب خطأ فى حق بنى بويه كان يصعب اصلاحه ، ومن ثم فان رأى من أشاروا عليه بعدم فعل ذلك كان على درجة كبيرة من الصحة بالنسبة للبويهيين(١٠) .

---

(٦) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣١٥ .

(٧) الهمزانى : تكملة تاريخ الطبرى ص٣٥٥ ، حسن ابراهيم : الفاطميين فى مصر ص١٠٥ .

(٨) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى جـ٣ ص٦٣ وانظر Islamic and History Culture, P. 205

(٩) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢١٣ .

(١٠) Islamic and History Culture, P. 206

وتحكم معز الدولة فى دولة المطيع ، وكان يريد طبع الدولة بالمذهب الشيعى وبناصر الشيعة مع أنه يحكم فى ظل خليفة سنى ، وكان موقفه المؤيد للشيعة يظهر فى وقوفه معهم ضد أهل السنة كما يتضح فيما ياتى:

١ - فى سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م أبلغ الوزير أبو محمد الحسن المهلبى(١١) بموت رجل فى بغداد كان يدعى حلول روح أبى جعفر محمد بن على ابن أبى القراقرفيه ، وان له اتباعا جنى منهم أموالا كثيرة ، وان هؤلاء الأتباع يعتقدون بربوبيته ، وان أرواح الانبياء والصديقين حلت فيهم ، وكان من جملة اتباع هذا الرجل شاب صغير يدعى أن روح على بن أبى طالب حلت فيه ، وامرأة تسمى فاطمة تدعى حلول روح فاطمة فيها ، وخادم لبنى بسطام يدعى أنه ميكائيل .

وكان المهلبى قد أساء اليهم واستعمل معهم الشدة وضربهم ، فامر معز الدولة باطلاق سراحهم(١٢) ، وقد علل ابن كثير تصرف معز الدولة هذا وعلق عليه بقوله : « وقد كان معز الدولة بن بويه يحب الرافضة ، قبحه الله »(١٣) .

وقد شعر الشيعة بهذا التعاطف البويهى فاستغلوه أسوا استغلال لاسيما وهم يدركون كم هى قبضة البويهيين قوية على الخلافة والخليفة، فاخذوا فى سب بعض الصحابة ، وكان من ذلك ما ذكره ابن الأثير فى أحداث سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م وكان صورة سب هؤلاء الشيعة المتعصبين على النحو : « لعن الله معاوية بن أبى سفيان ، ولعن من غصب فاطمة فدكا، ومن منع أن يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام ، ومن نفى ابا ذر الغفارى ، ومن أخرج العباس من الشورى »(١٤) .

---

(١١) مرجع سبق ذكره .

(١٢) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣٣٩ .

(١٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٢٤ .

(١٤) وكانوا يقصدون بمن غصب فاطمة حقها أبا بكر ، وبمن أخرج العباسى من الشورى عمر ، وبمن نفى أبا ذر عثمان ، وبمن منع دفن الحسن عند جده مروان بن الحكم . ابن كثير جـ١١ ص ٢٤٠ .

ويجعل ابن الأثير أن هذا الأمر تم بأوامر من معز الدولة نفسه فيقول ويشير الى ضعف الخليفة : « فأما الخليفة فكان محكوما عليه لا يقدر على المنع ، وأما معز الدولة فبأمره كان ذلك »(١٥) .

وقد قام أهل السنة من جانب آخر بمحو هذه الكتابات فى أثناء الليل فلم توجد فى صباح اليوم الثانى ؛ مما آلم معز الدولة حيث اعتبر فعل أهل السنة هذا تحديا لارادته ، وصمم على اعادة كتابة ما محى ، فنصحه الصيمرى الوزير بالاحتيال فى صيغة اللعن فكتب مكان ما محى: « لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ وان ذكر فى اللعن معاوية بن أبى سفيان(١٦) .

ولا شك أن الصيغة الجديدة مع ما تضمنته ممن يريد أهل الشيعة سبه فانها لا تصدم مشاعر أهل السنة فمن الذى يرفض أن يلعن الله ظالمى آل رسول الله ﷺ؛ ولذلك فان ابن كثير يجعل ما كتب من فعل أهل السنة أنفسهم(١٧) ، ثم يعقب قوله بسب معز الدولة ومن شايعه فيقول : « قبحه الله ، وقبح شيعته من الروافض ، لا جرم أن هؤلاء لا ينصرون »(١٨) .

ولاشك أن معز الدولة كان ينحو بهذا المنحى طريقا وعرة تفتح أبواب الفتنة على مصراعيها بين السنة والشيعة ، مع أنه بحكم موقعه فى الدولة كان عليه اخماد الفتن لا ايقاظها .

وعمل معز الدولة من ناحية أخرى على احياء المناسبات الشيعية والاحتفال بها على نحو لم يحدث من قبل دون تبصر بما يمكن أن تنتجه من ثمار سيئة ؛ فأمر فى سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م بالاحتفال بيوم العاشر من

---

(١٥) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٤ ، الذهبى : دول الاسلام جـ١ ص٢١٧ .

(١٦) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٤ ، الذهبى : دول الاسلام جـ١ ص٢١٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٣٣٣ .

(١٧) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص ٢٤٠ .

(١٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٣٣٤ ، Amir Ali, A Short History ...., P. 303

المحرم وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على(١٩) ، وفى هذا الشأن امر بأن يغلق الناس حوانيتهم فى هذا اليوم وأن يبطل البيع والشراء ، وكانت مظاهر الاحتفال تتضمن اظهـاء البكاء وخروج النسـاء منتشرات الشعور ، مسودات الوجوه يلطمن فى الشـوارع على الحسين رضى الله عنه(٢٠) .

وكانت البداية باحياء هده المناسبة سببا فى استمرارها فيما تلا ذلك من سنوات ، خاصة وأن اهل السنة كانوا يستشعرون قوة الشيعة بآل بويه الأقوياء انصارهم ، بينما يستشعرون ضعفهم بخليفة البلاد السنى الذى لا يملك من امره شيئا(٢١) . وقد استبشع أبو المحاسن ما بدأ به معز الدولة من هذه العادة خاصة وأنه صار القدوة فى ذلك لمن تلاه من بنـى بويه فقـال : « وهذا أول يوم وقع فيه هذه العـادة القبيحة الشـيعية ببغداد ، وكان ذلك فى صحيفة معز الدولة بن بويه ، ثم اقتدى به من جاء بعده من بنى بويه » ثم قال : « وكل منهم رافضى خبيث »(٢٢) .

وكما أحيا معز الدولة مناسبة العاشر من المحرم أحيا مناسبة أخرى لمي كن يحتفل بها من قبل فى بغداد وهى عيد الغدير ، وذلك فى نفس عام ٣٥١هـ/٩٦٢م فى اليوم الثامن من ذى الحجة ، وذلك حيث يعتقـد الشيعة أن الرسول ﷺ أوصى بالأمر من بعده لابن عمه على بن أبى طالب وقال « من كنت مولاه فعـلى مولاه ، اللهـم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله ، وأدر معـه الحق حيث دار » ، وجعل الرسولﷺ منزلة على منه بمنزلة هارون من موسى ؛ وقد

---

(١٩) الهمزانى : تكملة تاريخ الطبرى ص٣٩٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٧ ، شذرات الدهبى جـ٣ ص٩ ، وانظر ما كتبه المقريزى عن مظاهر الاحتفال بهذا اليوم عند الفاطمين : الخطط جـ٢ ص ٤٩٠ .

(٢٠) ابن العمـاد الجنبلى : شـذرات الذهب جـ٣ ص٩ فى أحـداث ٣٥٢هـ .

(٢١) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٤٣ .

(٢٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣ ص٣٣٤ .

امر معز الدولة فى هذا اليوم باظهار الزينة فى بغداد ، واشعال النيران بدار الشرطة ، وأبواب الأمراء اظهارا للفرح بهذا اليوم ، وأمر بفتح الأسواق بالليل كما يفعل فى ليالى الأعياد . وضربت الدبادب والبوقات(٢٣) .

ويقول ابن كثير فى هذه الاحتفالات مستبشعا اياها « فكان وقتا عجيبا مشهودا ، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة »(٢٤) .

ويقول الذهبى: «وصلوا بالصحراء صلاة العيد ودقت الكوسات»(٢٥) ، ويضيف : « فنعوذ بالله من الضلال »(٢٦) .

ويرجع ابن كثير ما حل بالمسلمين على يد ملك الروم نقفور فوقاس حتى توفى فى سنة ٣٥٢هـ/٩٦٤م فى بعضه الى فساد العقيدة بما أظهره الشيعة حيث يقول عن نقفور : « استحوذ فى أيامه لعنه الله على كثير من السواحل ، وأكثرها انتزعها من أيدى المسلمين قسرا ، وأستمرت فى يده قهرا ، وأضيفت الى مملكة الروم قدرا ؛ وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم ، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم وفشو البدع فيهم ، وكثرة الرفض والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلذلك أديل عليهم أعداء الاسلام ، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد من الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من بلاد الى بلاد فلا يبيتون ليلة الا فى خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشر المترادفة »(٢٧) .

---

(٢٣) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص٨١٧ ، ابن كثير نفس المصدر جـ١١ ص٣٤٣ ، وانظر طريقة الاحتفال بعيد الغدير لدى الفاطميين فى المقريزى : الخطط جـ٢ ص٤٩١ .

(٢٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٤٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص٢٥ حاشية ٣ .

(٢٥) الكوسات : من رسوم السلطان وآلاته وهى صنوج من نحاس شبه التراس الصغير يدق بأحدها على الآخر بايقاع مخصوص ويتولى ذلك الكوس . البقلى : مصطلحات ص ٢٩٠ .

(٢٦) الذهبى : دول الاسلام جـ١ ص٣١٩ .

(٢٧) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٤٣ .

ونحن نرى فيما يثيره ابن كثير فى هذا الخصوص اشارة ذكية الى اهمية تماسك الجبهة الداخلية خاصة فى أوقات الحروب •

ولو وقف الأمر عند حد الاحتفالات بالأعياد الشيعية ما مثل ذلك الخطر ، ولكن الأمور تطورت الى الصدام بين السنة والشيعة بكل ما يعنيه ذلك من خطر انقسام الناس الى فريقين متقاتلين خاصة اذا أدركنا أن الجيش فى العصر البويهى كان ينقسم الى ديالمة شيعيين وأتراك سنيين فى معظمه مما يجعل الأمور تهدد بحرب أهلية تأكل الأخضر واليابس •

ومن أمثلة هذه الصدامات المسلحة :

ما حدث فى سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م حيث أحكم الشيعة سوق الكرخ(٢٨) وكتبوا على الأبراج : محمد وعلى خير البشر ، فمن رضى فقد شكر ، ومن أبى فقد كفر » ، واندلعت الفتنة ونهبت ثياب الناس فى الطرق وغلقت الأسواق وانقسم الناس الى فريقين : أهل السنة الذين تجمعوا وتوجهوا الى دار الخلافة حيث وعدهم الخليفة بالخير ، والشيعة الذين ثاروا بالكرخ ، واشتبك الفريقان وأصابت نيران الفتنة الفريقين ففى حين قتل أهل السنة جماعة من الشيعة ، ونبشوا بعض قبور الشيعة ، عمد الشيعة الى خان الحنفية فأحرقوه وقتلوا مدرسهم أبا سعد السرخسى(٢٩) •

وفى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥ وقع صدام عنيف فى يوم عاشوراء بين السنة والشيعة وهجم أهل السنة على الشيعة فى مسجدهم المعروف بمسجد براثا الذى هو « عش الروافض »(٣٠) على حد قول بن كثير ، وقتلوا بعض الشيعة به(٣١) ، وهكذا لم تعد حتى لأماكن العبادة حرمتها امام هذا التعصب الأعمى بين طائفتين مسلمتين •

(٢٨) الكرخ : كرخ بغداد : وكان الكرخ أولا فى وسط بغداد والمحال حولها ، فأما الآن فهى محلة وحدها مفردة وسط الخراب وحولها محال الا أنها غير مختلطة بها • ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص٤٤٨ •

(٢٩) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ٣ ص ٢٧٠ •

(٣٠) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٥٤ •

(٣١) ابن كثير نفس المصدر جـ١١ ص٢٥٤ •

وقد ظل الحال كذلك حتى توفى معز الدولة فى ٣٥٦هـ/٩٦٦م ٠ وهو يتحمل وزر هذه الفتن التى نشأت فى عهده والتى استمرت من بعده ٠

الفتن بين السنة والشيعة بعد وفاة معز الدولة :

استمرت الفتن بين السنة والشيعة بعد وفاة معز الدولة بل وصار القوم من الفريقين يتفننون فى اثارة الآخرين فنجد فى احتفال عاشوراء فى سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م قوما من أهل السنة أركبوا امرأة سموها عائشة تسمى بعضهم بطلحة وبعضهم بالزبير ، وقالوا نقاتل أصحاب على فثارت بذلك فتنة كبيرة راح ضحيتها الكثيرون من الطرفين ، ولاشك أن هذا تصرف أحمق لا يرجى من ورائه خير ، قال ابن كثير : « وكلا الفريقين قليل العقل أو عديمه بعيد عن السداد »(٣٢) ٠

وكان الأمر يحتاج الى بعض العقلاء الذين يحسمون هذه الأمور ويقفون منها موقف التشدد لصلاح الأمة ، ولا يهم أن يكون من أى الفريقين ، وقد ظهر ذلك فى الوزير السنى أبى الحسن على بن محمد الكوكبى الذى منع احتفال الشيعة فى سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م ، وكان الأمر صعبا للقضاء على عادة استمرت ثلاثين عاما ، حيث سار الشيعة والديالمة الى باب بهاء الدولة البويهى وصمموا على تسليم الوزير اليهم ، وتهددوا بهاء الدولة نفسه بقولهم : « اختر أيها الملك بين بقائه أو بقائك »(٣٣) ،

وكانت فرصة لبهاء الدولة ينتصر فيها للشيعة ويتخلص من هذا الوزير الذى كان يسيطر عليه(٣٤) ، فقبض بهاء الدولة عليه وحبس أصحابه ، ثم قتل الوزير(٣٥) ٠

---

(٣٢) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٥١ ، وابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٧٥ ٠

(٣٣) الذهبى : دول الاسلام جـ١ ص٢٣٣ ٠

(٣٤) الذهبى : نفس المصدر جـ١ ص٢٣٣ ٠

(٣٥) قال ابن كثير أن بهاء الدولة خنقه فى حبل ، ويقول أبو المحاسن أن بهاء الدولة سلمه الى من سقاه السم مرتين فلم يمت فخنقه بحبل الستارة حتى مات ٠ البداية والنهاية جـ١١ ص٣١١ ، النجوم الزاهرة جـ٤ ص١٦٤ ٠

ولكن اذا كان هذا الوزير قد فشل فان عميد الجيوش[٣٦] نائب بهاء الدولة ووزيره تمكن فى سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢ - ١٠٠٣م من تخليص البلاد من ويلات هذه الفتن حين منع الشيعة من النوح على الحسين فى يوم عاشوراء ،و منع السنة من ناحية اخرى من النوع على مصعب بن الزبير ، فامتنع الفريقان ؛ ووقف عميد الجيوش بحزم لمنع هذه الفتن حتى انه كان اذا قبض على الثائرين من الشيعة أو السنة يقرن العلوى بالعباسى ويغرقا نهارا بمشهد من الناس[٣٧] .

تفجر الفتنة من جديد وتدخل الخليفة :

ورغم ذلك فان الفتنة نشبت فى سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٧م بعد فترة من الهدوء وكان سبب هذه الفتنة هذه المرة أن بعض الهاشميين قصد ابا عبد الله محرز بن النعمان المعروف بابن المعلم فقيه الشيعة فى مسجده وتعرضوا له بالأذى وسبوه فثار اصحاب الرجل وانضم اليهم الشيعة من اصحاب الكرخ ، وتوجهوا الى دار القاضى أبى محمد الأكفانى والشيخ أبى حامد الاسفراييني واحضر الشيعة مصحفا زعموا انه مصحف عبد الله ابن مسعود ، وكان هذا المصحف مخالفا للمصاحف كلها[٣٨] ، مما دفع فقهاء السنة الى أن اجتمعوا لذلك ، واشار الشيخ ابو حامد الاسفراييني والفقهاء بان يحرق ذلك المصحف ، فغضب الشيعة غضبا شديدا ، وعمد بعضهم الى دار الشيخ ابى حامد الاسفراييني يبغون ايذاءه وهم يصيحون « يا حاكم يا منصور » ، يقصدون بذلك الخليفة الحاكم بامر الله الفاطمى بمصر . وغضب الخليفة القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢هـ/٩٩١ - ١٠٣١م) لما حدث ومن تحيز بهاء الدولة لهم ، وأرسل رجاله لنصرة أهل السنة ، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة ، وأخرج فقيه الشيعة من بغداد بقصد نفيه ، وصدرت الأوامر من الخليفة بضرورة احترام اسم الشيخين وعلى رضى الله عنهم[٣٩] .

---

(٣٦) عميد الجيوش هو الحسن بن أبى جعفر ، وكان أبوه من حجاب عضد الدولة وولاه بهاء الدولة الوزاره سنة ٣٩٢هـ .
(٣٧) متز : الحضارة الاسلامية جا ص٢٨٨ .
(٣٨) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص٣٣٩ .
(٣٩) ابن كثير نفس المصدر ج١١ ص٣٣٩ .

وما كان مثل هذا التدخل من الخليفة ليحدث في عهد معز الدولة مثلا ، ولكن الضعف آنئذ كان قد دب في بني بويه حتى أننا لا نسمع عن تدخل مضاد من بهاء الدولة رغم خطورة ما أقدم عليه الخليفة .

على أن الجدير بالذكر أن الخليفة القادر بالله كان يتمتع بشيء من القوة ، ولم يكن التعرض لفقهاء السنة وعلمائهم بالأمر الذى يمكن للخليفة السكوت عليه ؛ كما وأن نداء الشيعة باسم الحاكم الفاطمى كان يمثل خطرا ينبغى التصدى له ؛ خاصة وأن ميل البويهيين للفاطميين لم يكن خافيا عن الخلفاء العباسيين .

وكأنما كانت هذه الحادثة تمثل حجر الزاوية للعودة الى الفتن من جديد حيث أراد الملوك البويهيون اثبات انهم مازالوا على شيء من القوة فاذن فخر الملك وزير بهاء الدولة فى المحرم سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م(٤٠) للشيعة مرة أخرى بالاحتفال بيوم عاشوراء مما يعنى تفجر الشر من جديد حتى قال ابن كثير يدعو على هذا الوزير : « فلا جزاه الله خيرا وسود الله وجهه يوم الجزاء ؛ انه سميع الدعاء »(٤١) . وكذلك فى سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م حيث اشتد القتال بين الشيعة والسنة وناصر كل طائفة منهم طائفة من الجند « على اعتقادهم »(٤٢) ، بمعنى أن الديلم ناصروا الشيعة بينما ناصر الأتراك أهل السنة .

وكان قمة الفتنة ما حدث فى سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م حيث نشبت فتنة شديدة بين السنة والشيعة ، أحرق فيها ضريح موسى بن جعفر وقبر زبيدة وقبور بنى بويه وما حولها ، وقتل الشيعة من أهل الكرخ مدرس الحنفية أبا سعد السرخسى وأحرقوا دور الفقهاء ، واشتد القتال بين السنة والشيعة(٤٣) .

ولعل من الطريف ما يروى من استغلال بعض الناس لهذا الخلاف

---

(٤٠) وذلك بعد وفاة عميد الجيوش سنة ٤٠٢هـ الذهبى جـ٣ ص ٢٤٠

(٤١) ابن كثير البداية والنهاية جـ١١ ص٣٤٥ .

(٤٢) الذهبى جـ١ ص٣٥٩ .

(٤٣) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢ ص٣٥٢ ، الذهبى جـ١ ص٢٦١

الجلاد بين السنة والشيعة ، فقد استغل شحاذان هذا الامر فوقفا على جسر بغداد يتوسل هذا بعلى ويتوسل ذلك بمعاوية ويعطيهما الناس على قدر ولائهم لهذا أو ذاك ، فاذا انصرفا آخر النهار اقتسما ما جمعاه من النقود بالسوية لأنهما شريكان(٤٤) .

ورغم سذاجة هذه القصة ـ التى لا نصدقها ـ فأنها تدل على أن الخلاف بين الفريقين كان أمرا يدعو الى التندر على مدى الانقسام الذى حدث فى صفوف الناس من الدهماء .

ووجه رفضنا للقصة أنها لو حدثت لحدثت المشاحنات بين الناس وربما تفجرت فتنة يتسبب فيها هذان الشحاذان الغبيان قد تودى بهما .

البويهيون والفاطميون والقادر :

كان البويهيون ما يزالون يأملون فى تقوية مركزهم وتنشيط دولتهم فانشأوا فى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م نقابة للشيعة تقلد أمرها الشريف الرضى أبو الحسن الموسوى ، وقرىء تقليده نقيبا للطالبين فى سائر الممالك فى دار الوزير فخر الملك بمحضر من الأعيان ، وخلع عليه السواد (شعار العباسيين) ، « وهو أول علوى خلع عليه السواد »(٤٥) .

ونسب الى الشريف الرضى أنه قال قصيدة أزعجت الخليفة القادر حيث تمنى فيها أن يكون عند الحاكم الفاطمى قال فيها :

أحمل الذل فى بلاد الأعا
دى وبمصر الخليفة العلوى

من أبوه أبى ومولاه مو
لاى اذا ضامنى البعيد القصى

لف عرقى بعرقه سيد النا
س جميعا : محمد وعلى(٤٦)

---

(٤٤) الشريف الرضى ص٥١ عن نشور المحاضرة للتنوخى .
(٤٥) ابن الوردى : نفس المصدر حـ٢ ص٣٢١ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٣٤٥ .
(٤٦) ابن كثير : البداية والنهاية حـ١٢ ص٤ ، الشريف الرضى ص١٨

وكذب الشريف الرضى أن يكون قال هذا ، ولكن تكذيبه لا يكفى لدى ابن كثير فيقول : « والروافض من شانهم التزوير »(٤٧) .

وقد راسل الخليفة ابا الشريف فى هذا ، فنصح الاب ابنه نصيحة يبعد بها نفسه عن الشر فقال له : « فاذا لم تكن قلتها فقل أبياتا تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعى لا نسب له » ، فرفض الشريف ذلك ، واكتفى الخليفة القادر بأن ارسل الشيخ أبا حامد الاسفراييني والقاضى أبا بكر الى الشريف الرضى وابيه فحلفهما بالايمان المؤكدة ان مثل ذلك لم يحدث(٤٨) .

وكان النفوذ الفاطمى قد زاد فى العراق نتيجة لتشجيع بنى بويه للمذهب الشيعى الذى يدينون به ويدين به الفاطميون ، وكان البويهيون رغم حرصهم على الاحتفاظ بنفوذهم السياسى يؤثرون الفاطميين على العباسيين ، فتبودلت الرسائل الودية بين العزيز بالله الخليفة الفاطمى وبين عضد الدولة بن ركن الدولة (٣٦٧ - ٣٧٢هـ/٩٧٨ - ٩٨٣م) ، فاعترف عضد الدولة بامامة الخليفة الفاطمى(٤٩) .

وكان الخليفة العباسى الطائع على دراية بتبادل الرسائل بين العزيز وعضد الدولة ولكنه كان من الضعف بحيث لا يستطيع أن يفعل شيئا(٥٠)

وتعاون الفاطميون والبويهيون للوقوف فى وجه الخطر البيزنطى المتمثل فى الغارات المتكررة لحدود كل من الدولتين العباسية والفاطمية ، وتبدو لنا صورة هذا التعاون فى كتاب بعث به العزيز بالله فى سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩ - ٩٨٠م الى عضد الدولة(٥١) والذى جاء فيه : « ان رسولك وصل الى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ اليك ، فادى ما تحمله من اخلاصك فى ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق امامته ،

---

(٤٧) ابن كثير : نفس المصدر جـ١٢ ص٤ .
(٤٨) ابن كثير : نفس المصدر جـ١٢ ص٤ .
(٤٩) جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ص ٨٠، ٨١ .
(٥٠) الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ١٩٠ .
(٥١) Eney - de J'Isl, Lart' Adud al Dawla t. 1 PP 217 - 219

ومحبتك لآبائه الطائعين الهادين المهديين ، فسر أمين المؤمنين بما سمعه عنك ، ووافق ما كان يتوسمه فيك وأنك لا تعدل عن الحق ... وقد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين وخراب الشام وضعف أهله وغلاء الأسعار ، ولولا ذلك نتوجه أمير المؤمنين بنفسه الى الثغور ، وسوف يقدم الى الحيرة ، وكتابه يقدم عليك من قريب ، فتأهب الى الجهاد فى سبيل الله »(٥٢) .

هذا ، وقد استغل الفاطميون ما ساد بلاد العراق وتمكنوا من نشر دعوتهم ، وكان من نتيجة ذلك أن دعى للخليفة الفاطمى العزيز بالله فى سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م فى الموصل على يد أميرها أبى الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد العقيلى(٥٣) .

كما استمال الحاكم بامر الله قرواش بن المقلد(٥٤) الذى آل اليه امر الموصل ، فخرج على طاعة القادر بالله العباسى فى سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م ، وقام بنشر دعوته فى الموصل والانبار والمدائن والكوفة ، وأحل اسم الحاكم بأمر الله محل اسم الخليفة العباسى فى الخطبة(٥٥) فأحضر الخطيب يوم الجمعة رابع المحرم سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م ، وخلع عليه قباء دبيقيا(٥٦) وعمامة صفراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمرين ، وقلده سيفا ، وأعطاه نسخة ما يخطب به ، فكان أول الخطبة : « الحمد لله الذى انجلت بنوره غمرات الغضب ، وانهدت بعظمته أركان النصب ، وأطلع بقدرته شمس الحق من المغرب »(٥٧) .

---

(٥٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص١٢٤ ، ١٢٥ .

(٥٣) جمال سرور : سياسة الفاطمين الخارجية ص١٧٣ .

(٥٤) قرواش بن مقلد بن المسيب العقلى ثانى أمراء العقلبين الذى حكم المواصل وملحقاتها بين سنتى ٣٨٦ — ٣٨٩هـ ، ولقب قرواش بمعتمد الله ، أمـا ابوه مقلد أول أمراء هذه الاسـرة فكان يلقب حسام الدولة . اتعاظ الحنفا جـ٢ ص٨٨ حاشية ١ ، وانظر : Muhammadam Dyanisties

(٥٥) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص١٧٣ .

(٥٦) نوع من الاقمشة الحريرية المزركشة التى كانت تصنع فى دبيق أحدى البلاد المصرية المندثرة . البقلى : مصطلحات ص١٣٣ .

(٥٧) اتعاظ الحنفا جـ٢ ص٨٨ ، ونص الخطبة فى النجوم الزاهـرة جـ٤ ص٢٢٢ — ٢٢٧ ومما ورد فى هذه الخطبة : « .... اللهم وصل على وليك الازهر ، وصديقك الاكبر ، على بن أبى طالب =

وكان لذلك أسوأ الأثر على الخليفة القادر ، ومع علمه بميل بهاء الدولة الى الحاكم بأمر الله ، وتاييده له فانه راسله يبين له أبعاد الخطر الذى يتهدد الدولة ، ويطلب منه العمل على مناهضة نفوذ الفاطميين ، فأرسل بهاء الدولة الى عميد الجيوش بمائة الف دينار ليتجهز بها لمحاربة قرواش ، فعاد قرواش عن رأيه ، وأمر بقطع الخطبة للحاكم فى بلاده وأعادها الى العباسيين بعد شهر واحد(٥٨) .

وقد لجأ الخليفة القادر بالله بعد أن تجلى له نجاح الدعوة الفاطمية فى بلاد العراق الى محاولة التشهير بهم ، وذلك بالطعن فى صحة نسبهم الى فاطمة الزهراء(٥٩) ، وأشهد على ذلك أكابر الفاطميين فوقعوا على محضر بذلك فى سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م ، وكان ممن وقع الشريف الرضى وأخوه المرتضى ، وقرئت نسخ من ذلك المحضر فى بغداد ، وكان مما ورد فيه طعنا على الفاطميين : « وهم منسوبون الى ديصان بن سعيد الحزمى اخوان الكافرين وتطف الشياطين ، شهادة يتقربون بها الله ، ومعتقدين ما أوجب الله على العلماء أن ينشروه للناس ، فشهدوا جميعا أن الناجم بمصر وهو منصور ابن نزار الملقب بالحاكم ، حكم الله عليه بالبوار والخزى والنكال- ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعده الله - فانه لما صار الى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدى ، هو ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الانجاس - عليه وعليهم اللعنة - أدعياء لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب وأن ذلك باطل وزور ... »(٦٠) .

= أبى الخلفاء الراشدين المهديين ، اللهم وصل على السبيطين الطاهرين الحسن والحسين ، وعلى الأئمة الابرار والصفوة الأخيار ، من أقام وظهر ومن خاف فاستتر .... اللهم اجعل نرامى صلواتك وزواكى بركاتك على سيدنا ومولانا امام الزمان وحصن الايمان وصاحب الدعوة العلوية ، عبدك ووليك المنصور أبى على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، كما صليت على آبائه الراشدين » .

النجوم الزاهرة جـ٣ ص٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٥٨) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٢٥٤ ، اتعاظ الحنفا جـ٢ ص٨٨ ، ابن الوردى : تتمة تاريخ المختصر جـ١ ص٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٥٩) الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص١٩١ .

(٦٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص٢٢٩ - ٢٣٠ .

والحق أن ما جاء فى محضر الطعن العباسى يكشف عن اضطرابه ، فهــو يفتقــر الى البراهــين ويعتمــد على القــدح والذم الذى دافعــه التعصب(٦١) ٠

ورغم ذلك لم تتوقف جهود الفاطميين لنشر دعوتهم فى بلاد العراق مستغلين سوء أحوال العــراق نتيجة لما يسود بغــداد من فوضى سببها التنافس والنزاع على السلطة بين بنى بويه والخلاف بين جند الاتراك فتابع الخليفة الظاهر الفاطمى سياسة أسلافه وأرسل فى سنة ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م/ بعض دعاته الى بغداد فاستجاب كثير من الناس لدعوتهم(٦٢) ٠

هكذا ، كان النفوذ الفاطمى قد امتد فى بلاد العراق فى عهــد الخليفة القادر ، ثم من بعده فى عهد الخليفة القائم بأمر الله(٦٣) (٤٢٢ - ٤٤٧هـ/ ١٠٣١ - ١٠٥٦م) الذى لم يجد كسلفه لمناهضة الفاطميين خيرا من القدح فى نسبهم بقصد تنفير الناس عنهــم ، وصــدر بذلك محضر عن ديوان الخلافة فى بغداد فى سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م(٦٤) ٠

وقد ظهر فى عهــد الخليفة القــائم الخطر السلجوقى يهــدد سلطة البويهيين ويؤذن بزوال ملكهم واستغل القائم هذا الخطر السلجوقى فى تهديد البويهيين ٠

وكان النشاط الفاطمى فى بلاد العراق زاد زيادة كبيرة فى أواخر عهد أبى كاليجار البويهى (٤١٥ - ٤٤٠هـ) بسبب نشاط داعيتهم هبة الله الشيرازى وتأييد أبى كاليجار له حتى انه هدد الخليفة العباسى القائم باعلان دولة للفاطميين فى بغداد(٦٥) ٠

---

(٦١) ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ١٧٠ ، وانظر ابن خلدون ص ٢٠ - ٢٣ ٠

(٦٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ص١٨١ ، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص١٧٨ ٠

(٦٣) Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 306

(٦٤) ابن ميسر : أخبار مصر جـ٢ ص٦ النجوم الزاهرة جـ٥ ص٥٣ ، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص١٧٨ ولم تصــلنا صيغة هذا المحضر بخلاف المحضــر الذى فى عهــد القــاد ضــد الحاكم ماجد ٠ ظهور خلافة الفاطميين ص١٦٧ - ١٦٨ ٠

(٦٥) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص١٨٢ والخربوطلى مصر العربية الاسلامية ص١٩٢

وكان هبة الله الشيرازى يلقن أصول الدعوة الفاطمية لأبى كاليجار، وفى ذلك يقول : (كنت كل ليلة جمعة أمكث عنده الى أن يمضى هزيع الليل ، وهو يسالنى عما يهجس فى نفسه ، وكنت أجيب عنه جوابا يظهر اثكر تباشير الفرح فى وجهه ، واساله كيف وقع هذا الجواب منك، فربما حرك رأسه يعنى انه جيد ، فلا أرضى دون أن اقرره بلسانه أنه ما دخل فى مسامعه مثله »(٦٦) .

وقال أبو كاليجار لهبة الله : « انى سلمت نفسى ودينى اليك ، واننى راض بجملة ما أنت عليه »(٦٧) ؛ ولم يخف أبو كاليجار اعجابه بهبة الله أمام وزرائه(٦٧) .

وأمام استشراء الدعوة الفاطمية بهذه الصورة ، وأمام تاييد أبى كاليجار أرسل الخليفة القائم الى أبى كاليجار يتهدده بالاستعانة بالسلاجقة ان لم يسلم هبة الله الشيرازى اليه ، ولكن أبا كاليجار لم يهتم بذلك التهديد وظهر حرصه على هبة الله الشيرازى وطلب منه عدم تعريض نفسه للخطر بالبقاء فى شيراز وارسل اليه يقول : « لاشك أن هذه الضجة التى كادت تخرق الأرض وتشق الجبال وقعت فى مسامعك ، وعلمت أن هذه الأمم لا يحصيها الا الله سبحانه ، أعداؤك وخصماؤك ، وكانوا أعداءنا فيك أيام كنا نقربك وندنيك ، وينبغى الآن ان تاخذ لنفسك ، وتبتغى سبيل نجاتك ، وتفرغ هذه المسالك ، ثم تأخذ أى صوب شئت »(٦٨) .

وزاد أبو كاليجار فارسل وفدا من كبار رجاله الى هبة الله لايقافه على جلية الأمر ، وأرسل معهم رسالة القائم التى يتهدده فيها بالاستعانة بطغرلبك السلجوقى ، وما كان من أمر الطعن فى نسب الفاطميين(٦٩) .

---

(٦٦) هبة الله الشيرازى : مذكرات داعى دعاة الدولة الفاطمية ص٦٧ - ٦٨ .
(٦٧) هبة الله الشيرازى : نفس المصدر ص٦٧ .
(٦٨) هبة الله الشيرازى : نفس المصدر ص٨٩ .
(٦٩) وكانت رسالة القائم الى أبى كاليجار تقول : « والقول انه أن كانت دعوة تعزى اليهم فى الايام المتقدمة فلقد كانت فى الخفاء والستر مثل خبيات الصدور ومكنونات القلوب ، وان أحدا ماجسر على مثل ماجسر عليه هذا الرجل الفاعل الصانع من الوقوف فى بعض مواقف اظهاره واشراره ، والتجرد لرفع معالم

وكان على ابن كاليجار فى مواجهة تهديد الخليفة القائم أن يدير الدفة الى صالحه مع طغرلبك السلجوقى الذى كان قد استولى على خراسان والرى[٧٠] ، فعقد معه الصلح فى سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م ليقطع بذلك الطريق على تعاون عباس سلجوقى ضده ، وتم بناءا على ذلك أن أمر طغرلبك أخاه اينال بالكف عما وراء يده ، واستقر الحال بين طغرلبك وأبى كاليجار على أن يتزوج طغرلبك بابنة أبى كاليجار ويتزوج الأمير ابو منصور بن أبى كاليجار بابنة الملك داود أخى طغرلبك ، وتم الزواج فى ربيع الأخر سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م .

وهكذا نجح ابو كاليجار فى عقد الصلح مع السلاجقة وأكده بذلك الزواج السياسى[٧١] .

ورغم ذلك الصلح بين البويهيين والسلاجقة حرص ابو كاليجار على الاحتفاظ بعلاقاته الطيبة مع الفاطميين ، فكاتب هبة الله الشيرازى فى هذا الصدد « ... وتصور لتلك الحضرة الشريفة ، دامت بالعز مكنوفة ، ما اطلعك عليه من شواهد صفاء عقيدتنا فى مخالصتها ، وايثارنا انتظام شمل سعادتها ، واستقامة أمور مملكتها ، وتعلمها أن هؤلاء التركمان المسئولين على اعمال خراسان والرى لا يقصر خطاهم عن بلاد المحروسة الا ثبات عساكرنا المنصورة فى وجوههم وانصراف هممنا الى قمعهم وفل غربهم ، وبذلنا الاموال فى كف عادياتهم ، وامتداد جيوشنا الموفورة لمقارعتهم أين نجموا وأين نبغوا »[٧٢] .

وهكذا، رأينا البويهيين منذ دخلوا بغداد وهم يعملون على نصرة المذهب الشيعى ، وعلى ظهور شاراته ورسومه واحياء أعياده ، وكانوا

ذكرهم بالصلاة والخطبة ، وازالة أسامينا بالكلية ، واذا سومح فى بابه وأهمل الاستيثاق وتسليم الى صاحبنا فقد أخرجتمونا من عهدة الايمان والعهدة بيننا وبينكم ، وأخرجتمونا الى استنصار من ينصرنا عليكم » . هبة الله الشيراز : ص ٩٠ وانظر : ماجد ظهور خلافة الفاطميين ص١٧٤ .

(٧٠) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص١٧٩ .

(٧١) انظر فى ذلك كتابنا : الزواج السياسى فى عهد الدولة العباسية .

(٧٢) محمد حلمى أحمد · الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص١٨٣ الى ص١٨٤ .

على وجه العموم شيعيين فى وقت قوتهم وأوقات ضعفهم ، وأدى ذلك على امتداد فترة حكمهم الى مصادمات دامية دائمة بين السنة والشيعة ، وكانوا مسئولين الى حد كبير عن تفاقم أسباب الخلاف بين أهل السنة والشيعة ليصلوا الى مآرب سياسية(٧٣) .

وقد أزمع بنو بويه تحويل الخلافة الى الفاطميين فى احدى مراحل ملكهم ، لما كانوا على تعاطف قوى فى آخر عهدهم مع الفاطميين ، وكانوا على صلة وثيقة بداعيتهم الكبير هبة الله الشيرازى .

وبعد ، فهل يحق أن يطلق على عصر البويهيين عصر الحرية المذهبية « وأن الشيعة والسنة اصطلحوا على أن يتمتع كل فريق منهم بالحرية المذهبية »(٧٤) . الحق ، أن الحرية المذهبية تعنى أن يعتقد كل فريق ما يراه دون أن يعترض طريقه أو يتعرض له فريق آخر الى درجة أن يصل هذا التعرض الى مصادمات دامية والى نشر الفتن فى البلاد فيصطلى الناس جميعا بنارها وينال كل فريق من مقدسات الفريق الآخر ان رجالا أو امكنه ولعل الأولى أن يطلق عليه عصر « اثارة الفتنة المذهبية » .

---

(٧٣) الشريف الرضى : ص١٤ .
(٧٤) ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص٥٢٦

الفصل الرابع

السيطرة على الوزارة



الفصـــل الرابـــع

« السيطرة على الوزارة فى العهد البويهى »

كانت الوزارة فى العهد التركى الأول قد انهارت مكانتها بعـد أن عمل الأتراك للسيطرة عليها بعد أن سيطروا على الخلافة باعتبار الوزارة ثانى المراكز العليا فى الدولة(١) . وصار منصب الوزير فى ذلك العهـد محنـة لمن يتقلده فقـد عدا وكانما عمـله الأول ارضـــاء نهـم الترك الجشعين(٢) .

وحاول الخليفة الراضى (٣٢٢ - ٣٢٩هـ/٩٣٤ - ٩٤١م) الذى بلغ منصب الوزير فى عهده أقصى درجات التردى حيث كاد ينحصر فى الظهور أيام الأعياد والمواكب وارتداء السواد ونقلد السيوف والمناطق وغيرها من ملابس الوزراء وشعاراتهم ، حاول اسـتحداث منصـب جديد انقـاذا للموقف(٣) ، فاستحدث منصب أمير الأمراء وبطلت منـذ ذلك الوقت الدواوين وبطلت الوزارة ، فلم يكن الوزير ينظر فى شىء من الأمور ، وانما كان محمد بن رائق أمير الأمراء وكاتبه ينظران فى كل الأمور ، وحذا حذو ابن رائق من ولى إمرة الأمراء بعـده ، وأصبحت الأموال تحمل الى خزائنهم ، فيتصرفون فيها كما يريدون ، ويطلقون للخليفة ما يريدون ، وبطلت بيوت الأموال »(٤) .

---

(١) انظـر كتابنا الخلافة العباسـية فى العصر التركى الأول ، والوزاره : اسمها مشتق من ثلاثة أوجه : ١ - من الوزر وهو الثقل ، لأنه يحمل عن الملك الثقـاله ، ٢ - من الأزر وهـو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره ، ٣ - اسـم مشتق من الوزر وهو الملجأ ، ومنه قوله تعالى « كلا لا وزر » أى لا ملجأ لأن الملك يلجأ الى رأيه ومعونته . قوانين الوزارة ص٦١ .

(٢) وذلك ان عمل الوزير يتطلب بالضرورة ادارة مالية للبـلاد فهو الذى يعمل الدخل والخرج ويفرض الضرائب أو يسقطها ويحصل الأموال من النواحى . الأحكام السلطانية ص٢٠ ، وأنظر : فتحية النبراوى : ص٦٤ .

(٣) ربما ليكون كالوزارة فى صدر الدولة العباسية : « التى كانت مؤازرة للخـلافة معضـدة للخلفاء حتى يمكن القـول أن قوة الخلفـاء وسطوتهم طغت على منصـب الوزير » ، الأحـكام السلطانية ص ٢٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل حـ٦ ص٢٥٤ .

جاء البويهيون بغداد فى عهد الخليفة المستكفى بالله (٣٣٣ - ٣٣٤هـ)، وكان أول وزرائه السامرى أبو الفرج محمد بن على الذى لم يكن له من الوزارة غير اسمها ، بينما كان تدبير الأمور الى أبى جعفر ابن شيرزاد(٥) .

وقد شغل البويهيون الذين دخلوا بغداد فى سنة ٣٣٤هـ منصب أمير الأمراء ، ثم حصلوا من الخلفاء توكيدا لسلطانهم على الكثير من الالقاب حتى صاروا ملوكا يتلقبون بلقب شاهنشاه أو ملك الملوك(٦) ، ثم صار الحق فى تولية الوزراء لهم دون غيرهم ، وصار هؤلاء الوزراء ينتسبون اليهم(٧) .

ولم يعد للخليفة حق تعيين الوزير ، وكان يعين للخلفاء كتاب يديرون لهم اقطاعاتهم المحدودة تحت اشراف ملوك البويهيين ووزرائهم، وحدد البويهيون مرتبات للخلفاء بدأت بالفى درهم فى اليوم فى أوائل عهدهم(٨) ، ثم أخذت فى التناقص والتضاؤل ، حتى انه يمكن القول أن الحاجة الى وزير للخليفة لم تكن موجودة ويصف ابن طباطبا هذه هذه الحال فيقول : « اضطربت أحوال الخلافة ولم يبق لها رونق ولا وزارة ، وتملك البويهيون ، وصارت الوزارة من جهتهم والأعمال اليهم ، وقرر للخلفاء شيء طفيف برسم اخراجاتهم »(٩) .

وأحدث البويهيون تغييرا فى نظام الوزارة حيث استخدم بعضهم وزيرين على غير ما جرت به العادة من استخدام الخلفاء العباسيين لوزير واحد وكان عضد الدولة بن بويه أول من اتخذ له وزيرين فى ان واحد، فقد استوزر منصور بن نصر بن هارون وجعله على بلاد فارس ، كما استوزر المطهر بن عبد الله وأحضره معه الى بغداد ، وكعادة الوزراء فى العهد البويهى أرسله عضد الدولة الى أعمال البطيحة(١٠) بعد وفاة

---

(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص٢٨٧ ، مسكويه ، تجارب الأمم ج٢ ص٧٨ .
(٦) أنظر Lane - Poole, Muhammadan Dynasties, P. 140
(٧) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص١٧٣
(٨) مسكوية : تجارب الأمم ج٢ ص٨٧ .
(٩) ابن طباطبا : الفخرى ص٢٨٨ .
(١٠) هى بطائح واسط . ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٤٥٠

صاحبها عمران بن ساهين فى سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م فى جند وسلاح ، ولما وصل المطهر اضاع الوقت والاموال فى سد أفواه الأنهار الداخلة الى البطائح ، ونمكن الحسن بن عمران بن شاهين الذى ولى البطيحة آنذاك من ايقاع الهزيمة به ، ولم يقبل ابن المطهر الرجوع الى عضد الدولة مهزوما فقتل نفسه ، قال مسكويه : « وكانت هذه الحادثة من عجائب الزمان اذ فتك الرجل بنفسه خوفا من تغير صاحبه له »(١١) .

وفى عهد صمصام الدولة وفى سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م استوزر وزيرين هما أبو القاسم وأبو الحسن أحمد بن محمد بن برمويه وخلع عليهما معا ، واكنت الأمور بين هذين الوزيرين تسير على ما يرام ، لأنهما « كانت ثابتة على الاخاء ، جائرة على الصفاء ، وكانا يتجاوران فى منازلهما ويتزاوران فى مجالسهما ، فهما ابدا عاكفان اما على معاشرة واما على مشاورة »(١٢) .

وفى سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م كانت الوزارة شركة بين أبى منصور بن صالحان وابى نصر سابور ، وخلع عليهما بهاء الدولة « وطرح لهما دستا كاملا ، وكانا بتناوبان اسم احدهما على الآخر فى المكاتبات »(١٣).

وأسند فخر الدولة فى سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م الوزير أبا العباس الضبى والوزير أبا على بن حمولة بعد ان استخلص منهما عشرة ملايين درهم « وجمع بينهما فى النظر وخلع عليهما خلعتين متساويتين ورتب أمرهما على أن بجلسان فى دست واحد ، ويوقعا جميعا ، فيوما يوقع هذا ويعلم ذاك ، ويوم يوقع ذلك ويعلم هذا ، ووقع التراضى بذلك ونظرا فى الأعمال »(١٤) .

ولم يطرد اتخاذ البويهيين لوزيرين فى عهد جميع أمرائهم ، وهذا يعنى أنه لم يكن نظاما ثابتا يعمل به البويهيون أو ينبغى العمل به ، فقد اكتفى بهاء الدولة نفسه فى بعض سنى حكمه بوزير واحد(١٥) .

---

(١١) مسكوية : تجارب الأمم جـ٢ ص٤١١ .
(١٢) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص١٠٢ .
(١٣) أبو شجاع نفس المصدر ص٢٤٦ .
(١٤) مسكويه : ذيل تجارب الأمم جـ٢ ص٢٦٤ .
(١٥) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٧٩ .

وكانت سيطرة البويهيون على منصب الوزارة تعنى على كل مقدرات الدولة ؛ وقد كان لمنصب الوزير شأنه فى بداية سيطرة البويهيين ووجد من الوزراء من ساهم بجهد طيب فى تثبيت حكم بنى بويه ، غير أن ما ساد البيت البويهى من اضطرابات شاملة فيما بعد أصاب من اتصل بهم من وزراء وكتاب(١٦) ، وهذا ما يوضحه حديثنا التالى عن بعض وزراء بنى بويه :

- استوزر معز الدولة فى سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م أبا محمد الحسين بن محمد المهلبى(١٧) بعد وفاة الوزير أبى جعفر الصيمرى ، وذلك لخبرته الواعية بشئون الدواوين ، وان لم يخاطب بلقب الوزارة رسميا الا سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م(١٨) .

وكان اختيار معز الدولة لهذا الوزير قائما على كفاءته ومقدرته واخلاصه وقد أجمل ذلك مسكويه فقال : « سبب ذلك أنه وجده جامعا لأدوات الرياسة ، وان كان منهم من هو أرجح كتابة ، وأيضا فقد أنس به على طول الزمان وأنه خلف الصيمرى على الوزارة فعرف غوامض الأمور وأسرار المملكة ، وكان الباقون لا يعرفون ذلك ، ولا يخرج اليهم ولا يوثق بهم ، وكان مع هذا حسن الانباء عن نفسه فصبحا مهيبا متوصلا الى اثارة الأموال عارفا برسوم الوزارة القديمة ، سخيا ، شجاعا ، أديبا يفصح بالفارسية »(١٩) ؛ وتحدث الثعالبى عن أيام وزارته فقال: « وأيامه معروفة فى وزارته لمعز الدولة ، وتدبير أموره فى العراق ، وانبساط يده فى الأموال »(٢٠) .

---

(١٦) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص١٧٤ .

(١٧) معه ولد قبيص بن المهلب بن أبى صفرة الذين كانوا يستوطنون البصرة ، واتخذوا فى القرن الثالث الهجرى دورا عرفت بحسنها . الثعالبى يتيمة الدهر ج٢ ص٢٢٤ ، شذرات الذهب ج٣ ص٩ وانظر : متز / الحضارة الاسلامية ج١ ص١٩٣ ، جمال سرور الحضارة الاسلامية ص٦١ ، ٦٢ .

(١٨) متز : الحضارة الاسلامية ج١ ص١٩٤ ، محمد حلمى أحمد المصدر السابق ص١٧٥ .

(١٩) مسكويه : تجارب الأمم ج٢ ص١٢٤ .

(٢٠) الثعالبى : يتيمة الدهر ج٢ ص٢٢٤

وكان هذا الوزير من العلامات البارزة فى حكم البويهيين فى أوائل عهدهم بما كان له من انجازات تعمل على تقوية قبضتهم واستتباب امن دولتهم ونشر العدل ، وان قام ببعض أعمال المصادرات لمصلحة آل بويه.

أزال الوزير المهلبى كثيرا المظالم التى اصابت الناس من البريديين خاصة أهل البصرة ، بل انه تنقل فى البلاد بنفسه ليكشف المظالم عن الناس فظهر بذلك فضله على من تقدمه من الوزراء(٢١) .

وكان الورير المهلبى قائدا لجيش البويهيين فقاد جيشا لمحاربة عمران بن شاهين المتغلب على البطيحة(٢٢) وان لم يتمكن من تحقيق النصر عليه لتعجله ولمهارة عمران بن شاهين وخبرته بمسالك البطائح وطبيعتها(٢٣) .

كما نراه فى سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م يتوجه لحرب يوسف بن وجيه المتغلب على عمان الخارج على معز الدولة ، والذى هدد البصرة ، وانتصر المهلبى على يوسف بن وجيه واستولى على مراكبه واسلحته(٢٣) .

واستصحب الوزير المهلبى معز الدولة فى سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م عندما استولى عليها معز الدولة من ناصر الدولة بن حمدان وذلك بصفته وزيرا عالما بالنواحى المالية ، حيث كان من عادة معز الدولة أن يستصحب معه جميع الكتاب والوزراء ومن يعرف أبواب المال ومنافع السلطان(٢٤) .

بل ان الوزير القائد المهلبى توفى فى سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م وهو فى طريقه الى فتح عمان ، وذلك بعد أن لبث فى عمله ثلاثة عشر عاما(٢٥) .

---

(٢١) مسكويه : تجارب الأمم جـ٢ ص١٢٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣١٤ .

(٢٢) أسس عمران بن شاهين دولة فى البطيحة فى سنة ٣٣٨هـ .

(٢٣) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٧ ، مسكويه : تجارب الأمم جـ٢ ص١٣١ .

(٢٣) مسكويه : نفس المصدر جـ٢ ص١٤٤ ، ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص ٣٤٠ .

(٢٤) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣٥٣ .

(٢٥) مسكويه تجارب الأمم جـ٢ ص١١٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٤١ ، وانظر ، متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٩٥

وكان الوزير المهلبى يحـرص على هيئـة الدولة ، وكان يرى فى الصراع بين مذهبى الشيعة والسنة ما يذهب بهيبة الدولة ويعرضها للخطر فحاول الوقوف فى وجه هذه الظاهرة ، وان اضطرته الظروف الى ممالأة البويهيين ، وقد تجلى هذا فى سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م حين قبض على بعض الشيعة حتى لا يثيروا القلاقل ولكنه اضطر الى ممالأتهم واطلاق سراحهم مراعاة لمعز الدولة الذى كان يمالئهم ويشجعهم ، ومع ذلك فان المهلبى تحفظ على اموالهم(٣٦) .

وفى سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م ، وقعت فتنة عظيمة ببغداد بسبب النـزاع بين الشيعة والسنة فقبض الوزير المهلبى الحازم على الكثيرين من مثيرى الفتنة من السنة ، وجعلهم فى زوارق مسمرة ، وحبسهم فى بعض مـدن العراق ، وقد مات الكثير من هؤلاء فى الحبس ، وظل بعضهم حتى مات المهلبى فأطلق سراحهم(٣٧) .

ولم يقف حزم المهلبى فى موقفه من الشيعة والسنة ، بل ظهر كذلك فى الضرب على أيدى العابثين ومن يتعرضون لحرم الناس فقبض فى سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م على حاجب قاضى القضاة لأنه كان رجلا عاهرا يتعـرض لحرم أصحاب الخصومات ومن لهم حاجة لدى قاضى القضاة(٣٨) ، وأمر المهلبى بضربه ٢٠ فضرب حتى أوشك على الهلاك وصادر أمواله ، قال ابن الأثير يصف موقف الوزير المهلبى من هذا الحاجب : « صودر محمد الحاجب غلام قاضى القضاة ، وضربه الوزير أبو محمد المهلبى ضـرب التلف لما بلغه عنه التحرّم والتهتك فى أيام أبى السائب ، ولم يكن به الا التشفى منه فنثر كعابه ضربا ، وكان هذا الرجل عاهرا يتعـرض لحرم الناس ، وكان مرسوما بحجبة قاضى القضاة ، فكان لا يمتنع عليه من لها خصومة أو حاجة عنـد قاضى القضاة ، وكان جميـلا مقبـــول الصورة ويتصنع مع ذلك ويتهم بفواحش مع صاحبه »(٣٩) .

ومع تلك الصفات العالية التى تميز بها المهلبى فانه قد يفعل ما يسىء

---

(٣٦) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢٣٩ .
(٣٧) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٦ ص٢٨٨ .
(٣٨) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٩٥ .
(٣٩) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣٦١ .

ارضاءا لسادته من بنى بويه ، وان كان هذا جزءا من عمل الوزير فى هذا العهد ونقصد بذلك ما كان منه فى حق أبى على الخازن محمد الذى قبض عليه واستخلص أمواله بعد وفاته لبنى بويه ، وان كان مسكويه يذكر ما فعله المهلبى بابن الخازن بعد وفاته معجبا بما كان من المهلبى، يقول مسكويه : « ثم أخذ فى التفنيش فأثار له أموالا كثيرة بعضها جرى بحضرتى فكان من ذلك أن قبض على غلمانه واسبابه ، وخلا بواحد منه فأرهبه وارغبه وساله هل يتهم موضعا من داره بدفين أو بنهم معاملا له بوديعة فقال له : « ان هذا الرجل كان أدهى من أن يعمل شيئا مما تطلبه ونبحث عنه بحضرة أحد ولست أتهم أحدا الا أنه طرد غلاما له مزينا من حجرة مرسومة به وجلس فى حجرته للخلوة أياما . فعبر الوزير بنفسه الى دار أبى على الخازن والتمس حجرة المزين وكان غلاما حبشيا أو نوبيا فجلس فيها فحفر مواضع فيها فظفر بمال لم أعرف مبلغه ، وكان فى جملة المدفون آلة شبيهة بميزان اعنى بيت الميزان من خشب الساج له طبق كطبق الميزان وليس فيه موضع كفة ولا موضع السنج بل هو محفور من ترابيعه شبيها بحوض وعليه طبقة مهندمة عليه وهو خال لا شىء فيه ثم قلب ذلك الطبق ووجد عليه كتابة فحمل تلك الآلة الى منزله ، وحمل المال الى خزانة الدولة » ، ثم يقول مسكويه « فعهدى به يقلب تلك الآلة ويتأمل تلك الكتابة وكانت بخط ردىء فاذا هى أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شىء ، وكانت تلك الأسماء أسماء قوم مودعين وأن تلك الرموز مبلغ ما عندهم من المال ، فاستعمل دهاءه فيه »(٣٠) ، وتمكن المهلبى عن طريق الدهاء والتخمين من الوصول الى هذه الأموال ، وبطش بمن اهتدى اليه حتى حصل على المال(٣١) .

ويعقب آدم متز على تصرف المهلبى هذا بقوله : « كان يفعل فى بعض الأحيان ما يثير سخطنا »(٣٢) ثم يقول : « وان كان ليس فى هذا ما يشين عند خلفاء ذلك العهد وأمرائه ، حتى أن مسكويه يذكر صنيع

---

(٣٠) مسكويه : تجارب الأمم جـ٢ ص١٨٧ — ١٨٨ .
(٣١) مسكويه : نفس المصدر ص١٨٨ .
(٣٢) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٩٥ .

المهلبى معجبا بذكائه وصدق تحمبنه ورضاء معز الدولة عنه »[٣٣] ٠

واكتفى معز الدولة بعد وفاة الوزير المهلبى بكاتبيه أبى الفضل بن العباس بن الحسين وأبى الفرج محمد س العباس ، كاما دا كفاءة وأمانة، كما استعان كذلك بالحاجب سبكتكين ٠

وقبل وفاة معز الدولة فى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م أوصى ابنه بختيار بأبى الفضل بن العباس بن الحسين ، وأبى الفرج محمد بن العباس « لكفايتيهما وأمانتهما »[٣٤] ٠

وقام أبو الفرج فى سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م بالقضاء على عصيان حبشى بن معز الدولة الخارج فى البصرة عن طاعة بختيار ، حيث قبض أبو الفرج عليه واستولى على أمواله بالبصرة[٣٥] ٠

وحاول أبو الفضل بن العباس القضاء على احدى فتن الشيعة والسنة فى الكرخ ببغداد ، واتخذ موقفا عنيفا فاحرى الكرخ مقر الشيعة[٣٦] ٠

وكان ممن استوزرهم بختيار فى سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م الوزير محمد بن بقية ولم يكن بختيار موفقا فى اختياره لهذا الوزير لوضاعة أصله وكان يتولى مطبخ معز الدولة ويقوم على شئون طعامه « ويقدم اليه الطعام ومنديل الخوان على كتفه الى أن استوزره بختيار[٣٧] ، ولذلك كان الناس يقولون عنه : « من الغضارة الى النضارة »[٣٨] ٠

على أن ابن بقية تمكن فى الوزارة واستولى على أموال أبى الفضل الكاتب وأصحابه ولكنه كان مسرفا فافنى ذلك المال ، مما دفعه الى أن يبحث عن وسائل جديدة يحصل بها على الأموال فظلم الرعية مما أدى الى خروج الأمور عليه « حتى خربت النواحى وظهر العيارون وعملوا ما أرادوا »[٣٩] ٠

---

(٣٣) متز : نفس المصدر جـ١ ص١٩٥ ٠
(٣٤) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٢٢ ٠
(٣٥) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص٢٦ ٠
(٣٦) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص ٥٠ ٠
(٣٧) ابن الأثير : نفس المصدر : جـ٧ ص ٥٠ ٠
(٣٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ ص١١٩ ٠
(٣٩) ابن الأثير : المصدر السابق جـ٧ ص ٥٠ ، والعيارون اللصوص

ولكن لابن بقية الفضل فى اصلاح ما حدث بين بختيار وسبكتكين الحاجب الذى كان الجند الاتراك يؤازرونه ، وتمكن من عقد الصلح بينهما وان كان « صلحا على دخن » كما يقول ابن الاثير(٤٠) .

وان كان مما يسىء اليه محاولته القبض على بختيار وتسليمه الى عضد الدولة ، كما كان يقوم بافساد الاحوال بينهما(٤١) ، وبعد تمكن الامور لعضد الدولة نسبت اليه اقوال فى حق عضد الدولة .

ومع ذلك فان ابن خلكان يصف ابن بقية انه : « كان من جلة الرؤساء ، وأكابر الوزراء ، وأعيان الكرماء »(٤٢) .

وكان من أشهر وزراء بني بويه الوزير أبو الفضل محمد بن العميد ابن عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بالعميد تعظيما له .

وقد وزر أبو الفضل لركن الدولة أبى على الحسن بن بويه والد عضد الدولة ، وكان ذا مكانة عالية ، وصفه الثعالبى فى يتيمته بقوله : « عين المشرق ، ولسان الجبل ، وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، وأوحد العصر فى الكتابة وجميع أدوات الرياسة وآلات الوزارة »(٤٣) . وعن ابن العميد ككاتب قيل : « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد »(٤٤) .

وكان ابن العميد على مقدرة كبيرة فى سياسة الدولة عمل على اصلاح ما فسد من أمور ركن الدولة رغم أن ركن الدولة كان لا يستمع اليه ، ويجنب آدم متز ابن العميد مسئولية فساد الاحوال فى عهد ركن الدولة ، ويستشهد على ذلك بقول مسكويه : « فما حيلة وزيره ومدبر أمره »(٤٥) .

اما عن مقدرة ابن العميد على الاضطلاع بأمور الملك فيشهد له مسكويه قائلا : « فاما اضطلاعه بامور الملك فقد دلت عليه رسائله ،

---

(٤٠) ابن الاثير : المصدر السابق جـ٧ ص ٧٠ .
(٤١) مسكويه تجارب الأمم جـ٢ ص١٧٤ .
(٤٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥ ص١١٩ .
(٤٣) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ٣ ص١٥٨ .
(٤٤) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ٩ ص٣١
(٤٥) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص٥٧ .

ولاسيما رسالته التى يخبر فيها باضطراب فارس وسوء سياسة من تقدمه لها ، وما يجب أن تتلافى به حتى تعود الى أحسن احوالها ، فان هذه « رسالة تتعلم منها صناعة الوزارة » ، ويقول : « ولما حصل بفارس علم عضد الدولة وجود التدابير السديدة ، وصناعة الملك التى هى « صناعة الصناعات ، ولقنه ذلك تلقينا ، فصادف متعلما لقنا ، حتى قال عضد الدولة مرارا : « ان أبا الفضل بن العميد كان أستاذنا ، وكان لا يذكره فى حياته الا الأستاذ الرئيس »(٤٦) .

وكان الوزير ابن العميد ذا رأى صائب يدل على ذلك ما حدث فى سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م وهو وزير ركن الدولة حيث خرج عشرون الفا من الخراسانيين الى الرى بقصد غزو بلاد ركن الدولة وأفسدوا فى أطراف بلاده ، فأشار عليه أبو الفضل ابن العميد بمنعهم من دخول بلاده مجتمعين ، فقال ركن الدولة : لا تتحدث الملوك أننى خفت جمعا من الغزاة ، فأشار عليه ابن العميد عندئذ بتأخيرهم الى أن يجمع جنده الذين كانوا متفرقين فى أعمالهم ، فلم ينتصح بنصحه ، فقال : «أخاف أن يكون لهم مع صاحب خراسان مواطأة على بلادك ودولتك » ، فلم يلتفت اليه ، وعندما دخل الخراسانيون الرى اجتمعوا بابن العميد وظهر له منهم خبث سرائرهم ، وحاول ابن العميد مداراتهم ، ولكن الفتنة استشرت ، واضطر ركن الدولة الى محاربتهم وهو فى عدد قليل، وتمكن الخراسانيون من هزيمته وأنقذه الليل منهم « فلو تبعوه لأتوا عليه وملكوا منه ، لكنهم عادوا عنه لأن الليل أدركهم »(٤٧) وقد نهبوا دار الوزير ابن العميد وجرحوه لكنه نجا من القتل .

وجنح ركن الدولة الى استخدام الحيلة فى قتالهم فى صباح اليوم التالى حيث خيل اليهم أن أمدادا أتت اليه ففت ذلك فى قوتهم فى حين زاد أصحابه قوة ، وهكذا تمكن من هزيمتهم(٤٨) .

هذا ، وكان ابن العميد يقود الجيوش ، ويحضر المعارك حتى انه

---

(٤٦) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص٢٠٤ .
(٤٧) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٨ .
(٤٨) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص١٩ .

مات وهو يقاتل حسنويه الكردى الذى خرج على ركن الدولة وذلك فى سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م ، وحل محله ولده أبو الفتح بن العميد(٤٩) .

وكان ابو الفضل ابن العميد ذا هيبة عظيمة حتى انه كان يكفى أن يرفع الطرف على طريق الانكار ، فترتعد الأعضاء وتضطرب ، وتسترخى المفاصل ، وقد شهد مسكويه بنفسه ذلك فى مواقف كثيرة(٥٠) .

وكان أبو الفضل ابن العميد على معرفة بطبائع الديلم ويعرف ما فيهم من حسد ، وانه لا يملكهم احد الا بترك الزينة ، وبذل ما لا يبطرهم ولا يخرجهم الى التحاسد ، وبترك التكبر عليهم ، وبالظهور فى مرتبة أوسطهم حالا(٥١) .

وولى الوزارة لركن الدولة أبو الفتح بن أبى الفضل ابن العميد الذى كان يخالف اباه فى سياسته فكان يحب أن يسير فى خواص الديلم، ويرغب فى استمالة قلوبهم عن طريق الهدايا والخلع ، كما كان يدعوهم الى اللعب والصيد ، ويستضيفهم فى الصحراء .

ولم تكن هذه التصرفات تعجب أبا الفضل وقت حياته ، وقد نهى ابنه عن ذلك ووعظه ولكنه لم يتعظ فكان أبو الفضل يقول فى مرض موته : « ما قتلنى الا ولدى ، وما أخاف على بيت العميد أن يخرب ويهلكوا الا منه »(٥٢) ، ويضيف ابن الأثير : « فكان على ما ظن »(٥٣) ، ويقول : « وانقلع بيت العميد على يده كما ظن أبو الفضل »(٥٤) .

ومن اشهر من ولى الوزارة لبنى بويه الصاحب اسماعيل بن عباد(٥٥) ، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، لأنه كان يصحب

---

(٤٩) متز : الحضارة الاسلامية جا ص٢٠٥ .
(٥٠) متز : نفس المصدر جا ص٢٠٥ .
(٥١) متز : نفس المصدر جا ص٢٠٥ - ٢٠٦ .
(٥٢) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص٣٨ .
(٥٣) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص٣٩ .
(٥٤) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص٨٢ .
(٥٥) وهو فارسى الأصل من أهل الطالقان وهى ولاية بين قزوين وأبهر . جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص٦٥ عن معجم الأدباء .

أبا الفضل ابن العميد ، فقيل له: صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة ، وبقى علما عليه(٥٦) • وقيل انه سمى بالصاحب لانه صحب مؤيد الدولة بنى بويه منذ الصبا وسماه الصاحب، فاستمر له هذا اللقب واشتهر به ، ثم سمى به كل من ولى الوزارة بعده(٥٧) •

وكان ابن سعدان الوزير (٣٧٤هـ/٩٨٤م) يخاطب ابن عباد بالصاحب الجليل(٥٨) •

وكان الصاحب بن عباد اشهر الوزراء فى أواخر القرن الرابع ، وكان وزير آل بويه بالرى ، وكان ذا مكانة عالية وكان يقوم بتدبير جميع الامور ، وكان يحاط بكل ضروب الاجلال(٥٩) ، وكان يشبه بهارون الرشيد لانه جمع حوله أهل اللسن وكانت له مراسلات مع رؤساء الادباء بالشام وبدغاد(٥٩) •

وكان الصاحب يتصف بالشدة والقسوة وسرعة الغضب وبسرعة التاثير عليه حتى ان الناس كانت تحجم عنه لجراته وسلاطة لسانه واقتداره وبطشه ، ولانه كان شديد العقاب ضعيف الثواب(٦٠) •

وكان الصاحب ذا رأى نافذ يشير فى أعظم الأمور فيؤخذ بمشورته، حدث ذلك عندما توفى مؤيد الدولة البويهى فى سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م دون أن يعهد بالملك بعده لأحد ، وقد أشار الصاحب بابن عباد بأن يتولى الامر فخر الملك كبير البيت البويهى ومالك تلك البلاد قبل مؤيد الدولة، ولما فيه من آيات الامارة والملك ، وأرسل الى فخر الملك فى نيسابور ، وفى نفس الوقت أقام خسرو فيروز بن ركن الدولة ليسكن الناس حتى يقدم فخر الملك • وهكذا عاد فخر الملك الى مملكته بمشورة الصاحب ابن عباد •

---

(٥٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص٢٢٩ وابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ٣ ص٣١ •
(٥٧) ابن خلكان : نفس المصدر جـ١ ص٢٢٩ •
(٥٨) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٩٥ •
(٥٩) الثعالبى يتيمة الدهر جـ٣ ص١٩٣ •
(٦٠) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٩٩ •

ولا غرو والأمر كذلك أن ينمسك به فخر الدولة حين عرض ابن عباد الاستعفاء من منصبه فقد قال له الصاحب : « يا مولاى قد بلغك الله وبلغنى فيك ما أملته ، ومن حفوق خدمتى لك اجابنى الى ترك الجندية وملازمة دارى والتوفر على أمر الله » ، فقال له فخر الدولة : « لاتقل هذا فما أريد الملك الا لك ، ولا يستقيم الأمر الا بك ، واذا كرهت ملابسة الأمور كرهتها انا أيضا وانصرفت »(٦١) فانصاع الصاحب لأمر فخر الملك وصار وزيره واصبح نافذ الرأى فى كل صغير وجليل من الأمور(٦٢) ، وكان فخر الدولة والصاحب بن عباد يشعران أنهما يكملان بعضهما هذا فى الامارة وذاك فى الوزارة(٦٣) ٠

وكان الصاحب بن عباد يؤثر العراق على فارس ، ويتمنى أن يتقلد منصب الوزارة فى بغداد ، وكان حريصا على تلك الغاية(٦٤) ، وقال فى ذلك : « ما بقى من أوطارى وأغراضى الا أن أملك العراق ، وأتصدر ببغداد ، واستكتب أبا اسحق الصابىء ، ويكتب عنى »(٦٥) ٠

ولاحت للصاحب بن عباد فرصته بعد وفاة شرف الدولة أبى الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة فى سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م بعد أن ملك العراق سنتين وثمانية أشهر ، فدفع الى فخر الدولة من يزين له ذلك الأمر ، واستشار فخر الدولة الصاحب فيما أشير به عليه فاجابه اجابة ذكية قائلا : « ان سعادته تسهل كل صعب »(٦٦) ٠

وقام الصاحب ابن عباد بنفسه على رأس أحد جيشين كان أولهما

---

(٦١) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١١٧ ٠

(٦٢) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص١١٧ — ١١٨ ، وانظر : بدوى طبانة : الصاحب بن عباد ص٨٦ ٠

(٦٣) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ٣ ص١٩٤ ، بدوى طبانة : نفس المصدر ص٨٧ ٠

(٦٤) ابن الأثير : الكامل حـ٧ ص١٣٩ ، جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص٦٣ ٠

(٦٥) معجم الأدباء لياقوت عن : بدوى طبانة : الصاحب بن عباد ص٩٢ ٠

(٦٦) ابن الأثير : الكامل حـ٧ ص١٣٢ ، بدوى طبانة : نفس المصدر ص٩٤ ٠

بقيادة فخر الدولة ووجهته خوزستان[٦٧] وثانيهما بقيادة الصاحب ابن عباد يعاونه بدر بن حسنويه ووجهته العراق .

وخوف حاسدو الصاحب ابن عباد فخر الدولة منه ، وقالوا له : « ربما استماله أولاد عضد الدولة »[٦٨] فاستدعاه فخر الدولة اليه وسار معه الى خوزستان . وعندما أحس بهاء الدولة بالخطر يتهدده فى بغداد رأى أن يواجه فخر الدولة بعيدا عنها ، فارسل بجيشه لملاقاة فخر الدولة بالقرب من خوزستان .

ولم يحسن فخر الدولة قيادة جيشه وبدأ الخوف والضجر يتسربان الى جنده فاستشار الصاحب فقال له : « ان الرأى فى مثل هذه الأوقات اخراج المال وترك مضايقة الجند ، فان أطلقت المال ضمنت لك حصول أضعافه بعد سنة »[٦٩] ولم يعمل فخر الدولة بنصيحة الصاحب فانفض عنه كثير من جنده وتم النصر لجند بهاء الدولة ، ولم ينحقق للصاحب أمله فى ولاية الوزارة فى بغداد[٧٠] .

وكان الصاحب ابن عباد قائدا متميزا يشتهر بكفاءته الحربية فاستطاع أن يغزو بجيشه طبرستان ويستولى على بعض قلاعها[٧١] .

ولا جرم والحال كذلك ان تكون له منزلة عالية بلغ من علوها أن قواد بنى بويه وحكامهم كانوا يقفون ببابه فاذا دخلوا اليه أو خرجوا من عنده قبلوا الأرض بين يديه تعظيما وتوقيرا .

وكان ممن دخل اليه بديع الزمان الهمذانى الذى قال : « لما أدخلنى والدى الى الصاحب ووصلت الى مجلسه ، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لى : يا بنى اقعد « كم تسجد كانك هدهد »[٧٢] .

---

(٦٧) خوزستان : اقليم واسع يشتمل على مدن كثيرة بين البصرة وبين فارس ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص٣١١ .
(٦٨) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٣٩ .
(٦٩) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص ١٤٠ .
(٧٠) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص٦٤ .
(٧١) جمال سرور : نفس المصدر ص٦٤ .
(٧٢) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ٣ ص١٩٧ .

وقد بلغ من شهرة الصاحب ان نوح بن منصور أحد ملوك بنى سامان كتب اليه سرا يستدعيه ليستوزره ويدبر أمور دولته فاعتذر الصاحب بقوله : « أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة الى اربعمائة جمل فما الظن بما يليق بها من التجمل »(٧٣) .

ولما توفى الصاحب بن عباد فى سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م « اغلقت له مدينة الرى واجتمع الناس على باب القصر ينتظرون خروج جنازته ، وحضر فخر الدولة بنفسه وسائر القواد ، وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه صاح الناس باجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياما ، ولذلك قيل لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان فى حياته الا الصاحب »(٧٤) .

ومما يدل على دهائه وحكمته انه قال وهو مشرف على الموت لفخر الدولة : « قد خدمتك ايها الأمير خدمة استفرغت قدر الوسع وسرت فى دولتك سيرة جعلت لك حسن الذكر فان أجريت الأمور بعدى على نظامها وقررت القواعد على أحكامها نسب ذلك الجميل السابق اليك ونسيت أنا فى اثناء ما يثنى عليك ودامت الأحدوثة الطيبة لك ، وان غيرت ذلك وعدلت عنه كنت انا المشكور على السيرة السالفة وكنت أنت المذكور بالطريقة الآنفة ، وقدح فى دولتك وما يشيع فى المستقبل عنك »(٧٥) .

وهكذا نرى أن قد ولى للبويهيين بعض الوزراء الذين كانوا على قدر من الكفاءة والمقدرة ، ولكننا نرى الأمور وقد اختلفت بعد وفاة الصاحب ابن عباد ، وصار منصب الوزارة موضعا للمساومات الشائنة(٧٦) ؛ ونضرب مثالا بما تم بعد وفاته حيث ولى الوزارة أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبى الملقب بالكافى ، فعرض أبو على

---

(٧٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص٢٣١ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ٣ ص١١٥ .

(٧٤) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ٣ ص١١٥ ، أبو المحاسن : النجوم زاهره جـ٤ ص١٧١ ، وانظر متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٩٧ .

(٧٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص٢٦١ ، الكامل جـ٧ ص ١٧٠ .

(٧٦) متز الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٧٩ .

الحسن بن احمد حمولة ـ الذى كان يقود بعض الجيوش تئد فى جرجان(٧٧) ـ على فخر الدولة أن يوليه الوزارة فى مقابل ثمانية ملايين درهم ، فبذل ابو العباس الضبى ستة ملايين درهم فى مقابل اقراره على الوزارة ، ووجد فخر الدولة الحل الدى يعود على الجميع وعليه بالفائدة ، فجعل الوزارة بينهما شركة ، على أن يدفع له حمولة ستة ملايين درهم ويدفع ابو العباس أربعة ملايين ، وجمع بينهما فى النظر فى أمور الوزارة وأجلسهما فى دست واحد بحيث يكون التوقيع لهذا يوما والعلاقة للآخر .

أما فيما يختص بقيادة الجيش والتى كانت احدى مهام الوزير البويهى فانهما كانا يقترعان على من يخرج منهما لقيادة الجيوش ، ثم سعت السعاة بينهما فدبر احدهما للآخر فقتله(٧٨)

كما تجلى فى ذلك الوقت كذلك الرغبة فى الاستحواذ على الألقاب التى كانت تدل فى واقعها على مدى الاضطراب الذى أصاب الدولة والمجتمع حتى وصل الأمر فى سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م الى أن أمر مشرف الدولة بن بويه فى بغداد ان تضرب الدبادب أمام دار وزيره فى أوقات الصلاة ولقب وزيره بوزير الوزراء(٧٩) ؛ كما خلع جلال الدولة ـ الذى تولى بعد وفاة مشرف الدولة ـ فى سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م على وزيره شرف الملك أبى سعيد بن ماكولا ، ولقبه علم الدين ، وسعد الملة ، أمين الملة شرف الملك ، وهو أول من لقب من الوزراء بالألقاب الكثيرة(٨٠) ؛ ولكن هذه الألقاب لم تكن تعنى غير انها القاب لا جوهر لها فقد تهاوت قيمة الوزراء وتضاءل نفوذهم الى اكبر درجة .

---

(٧٧) جرجان : مدينة مشهورة واقليم بين طبرستان وخراسان ، وهى اليوم فى ايران فى اقليم مازندران
Le Strange, Landsof the Eastern Caliphate, P. 417

(٧٨) متز الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٧٩) جمال سرور : الحضارة الاسلاميه ص٦٥ .

(٨٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص٢٦٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص١٨ .

نهـــايات الوزراء :

ولم تكن نهايات الوزراء فى اغلبها حسنة فى ايام بنى بويه فقد كان ينالهم التعذيب والتنكيل والمصادرة مما يذكرنا بمصير اخوانهم فى خلال العصر التركى الأول(٨١) ، يتساوى فى ذلك من حاز الكفاءة ومن فقدها مما يعنى أن بنى بويه قد سيطروا على منصب الوزارة فى عهدهم سيطرة متجبرة لتكتمل لهم بعد سيطرتهم على الخلفاء السيطرة على مقـــدرات الدولة جميعها •

اما الوزراء انفسهم فقد كانوا وسيلتهم لاحـكام سيطرتهم وجمـع الأموال لهم ولكنهم فى معظمهم كانوا يلقون سوء الجزاء مما يدل على سقوط هيبتهم كما يوضح ذلك الأمثلة الآتية :

نقم معز الدولة على وزيره ابى محمد المهلبى أمورا فامر بضـربه بالمقارع خمسين مقرعة وحبسه فى داره(٨٢) ، ومع ذلك فانه لم يعـزله لحرصه على ادارته وكفاءته فشاور أصـحابه وقال : « هل يجـوز أن أستنيم الى هذا الرجل ، وقد لحقه منى هذا المكروه العظيم ؟ فقـال له أحد من استشاره ان مرداويج قد ضرب وزيره أعظم من هذا الضرب حتى كان لا يطيق المشى ولا يقدر على الجلوس لما حل به ثم خلع عليه ورده الى أمره »(٨٣) •

والغريب أن المهلبى استمر فى وزارة معز الدولة رغم ما ناله من هوان ، والغريب ايضا انه لقى الهوان بعد مماته حيث لقى هو نفسه نفس مصير المصادرة الذى سلكه مع غيره ، فقبض معز الدولة أمواله وذخائره وكل ما كان له ، واخذ أهله وأصحابه وحواشـيه وحتى من خدمه يوما واحدا فقبض عليهـم وحبسهم « وفعـل بهـم ما لا يفعـل الا بعدو مكاشف حتى استقطع الناس ذلك واستقبحوه »(٨٤) •

---

(٨١) انظر كتابنا الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول ص١٦٥ وما بعدها •

(٨٢) مسكويه : تجارب الأمم جـ٢ ص١٤٣ •

(٨٣) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٧٧ •

(٨٤) مسكويه : المصدر السابق جـ٢ ص١٩٨ ، متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص١٩٥ •

وساء مصير الوزير ابن بقية كذلك وكان سبب ما أصابه أنه دفع عز الدولة بختيار الى حرب ابن عمه عضد الدولة ، فالتقيا على الأهواز ، وهزم عز الدولة ، فنسب ذلك الى رأيه ومشورته ، وقبض عليه فى مدينة واسط سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م ، وسملت عيناه ولزم بيته(٨٥) ؛ وكما انتقم منه معز الدولة انتقم منه عضد الدولة عندما استقرت له الأمور فى بغداد لأقوال بلغته عنه ، فشهره عضد الدولة وعلى رأسه برنس ، ثم أمر بطرحه للفيلة فقتلته ، ثم صلبه عند باب الطاق »(٨٦) ، قال آدم متز: « وهذه العقوبة هى الأولى من نوعها ٨ الاسلام »(٨٧) ، ولم يزل ابن بقية مصلوبا حتى توفى عضد الدولة ، ثم أنزل عن الخشبة ودفن فى موضعه ، وذلك فى عهد صمصام الدولة(٨٨) .

اما الوزير أبو الفتح ابن العميد ابن ابى الفضل ابن العميد فقد قبض عليه عضد الدولة فى سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م وطالبه بالأموال وعذبه ومثل به ويقال « انه سمل احدى عينيه وقطع انفه ، وجز لحيته »(٨٩) ، ويذكر من أسباب ما حاق بأبى الفتح مخالفته فى تعجيل المسير من بغداد الى الرى كما أراد عضد الدولة ، ومكاتبته لبختيار باشياء يكرهها عضد الدولة(٩٠) ، وكذلك ميل القواد اليه وغلوهم فى محبته ، ومنها

(٨٥) مسكويه : نفس المصدر جـ٢ ص٣٧٧ ، وفى الكامل « لأنه اطرحه واستبدد بالأمر دونه وجبى الأموال الى نفسه ولم يصل الى بختيار منها شيئا » جـ٧ ص٨١ .

(٨٦) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقى تعرف بطاق أسماء . ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص٣٠٨ .

(٨٧) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص٦١ .

(٨٨) ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٩٢ ، ولما صلب ابن بقية رثاه أبو الحسن الأنبارى بقصيدته منها :

علو فى الحياة وفى الممات	لحق أنت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا	وفود نداك أيام الصلات
وكأنك قائم فيهم خطيبا	وكلهم قيام للصلاة .

وفيات الأعيان جـ٥ ص ١٢٠ والنجوم الزاهرة جـ٤ ص ١٣٠ الى ١٣١ .

(٨٩) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ٣ ص١٩١ ، ويقول ابن الأثير : وسمل عينه واحدة . الكامل جـ٧ ص٨٢ .

(٩٠) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٨٢ .

ترفعه عن التواضع لعضد الدولة فى كتاباته(٩١) ، على أنه اذا صحت هذه الأسباب فان اهمها هو الحصول على الأموال ، وقد أدرك أبو الفتح بنفسه ذلك فانتقم من عضد الدولة على طريقته حيث مد يده الى جيب جبة عليه ففتقه واخرج رقعة أثبت فيها ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره ، والقاها فى كانون نار بين يديه ، وقال للقائد الموكل به المامور بقتله بعد مطالبته : « اصنع ما أنت صانع ، فوالله لا يصل من اموالى المستورة الى صاحبك دينار واحد »(٩٢) ، وقد لاقى بعد ذلك صنوف التعذيب حتى مات(٩٣) ٠

ولم يكن بنو بويه يتوانون عن مصادرة أحسن وزرائهم ونعنى به الوزير الجليل الصاحب ابن عباد فقد فعل ذلك فخر الدولة بعد وفاة الصاحب حيث أرسل الى داره من تحفظ عليها ، ونقل جميع ما فى الدار اليه(٩٤) ٠ وقد وجدوا فى داره كيسا فيه رقاع أقوام بمائة وخمسين الف دينار مودعة له عندهم فاستدعاهم وطالبهم بالمال واستولى عليه(٩٥) ، بل ان فخر الدولة أساء الى سيرة الرجل الذى سانده ووطد له ملكه وذلك حين طلب من الوزير أبى العباس الضبى تحصيل أموال له ، فانه قال للوزير ابن الضبى : « ان الصاحب أضاع الأموال وأهمل الحقوق ، وقد ينبغى أن يستدرك ما فات منها »(٩٦) ، فاشترك الوزير ابن الضبى مع شريكه فى الوزارة الوزير أبى على حمولة فى القبض على أصحاب الصاحب بن عباد(٩٧) ٠

وقد ذم ابن الاثير هذا حيث قال : « فقبح الله خدمة الملوك ، هذا فعلهم مع من نصح لهم فكيف مع غيره »(٩٨) ٠

---

(٩١) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ٣ ص١٩١ ٠
(٩٢) الثعالبى : نفس المصدر جـ٣ ص١٩١ - ١٩٢ ، الكامل جـ٧ ص٨٢
(٩٣) الثعالبى : نفس المصدر جـ٣ ص١٩٢ ، الكامل جـ٧ ص٨٢ ٠
(٩٤) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص ١٥٠ ٠
(٩٥) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص ١٧٠ ٠
(٩٦) أبو الشجاع : ذيل تجارب الأمم ص٢٦٣ - ٢٧٣ ٠
(٩٧) أبو الشجاع : نفس المصدر ص٢٦٤ ٠

والحق أن منصب الوزارة فى معظم مراحله فى العهد البويهى كان يعمل لمصلحة الملوك البويهيين ، وكان من مهام الوزير الأولى ارضاء نهم البويهيين الجشعين وارضاء أجنادهم الطامعين بالاضافة الى ما يجنيه الوزراء لأنفسهم الذى كان يعود وبالا عليهم فى حياتهم أو بعد مماتهم.

(٩٨) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص ١٧٠ .

الفصل الخامس

بلاد الخلافة مسرح للأحداث الدامية


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصــل الخـــامس

بـلاد الخـلافة مسـرح للأحـداث الداميـة

كان الحكم البويهى فى معظم مراحله لعنة حلت ببلاد الخلافة العباسية ، قاسى منها كل طوائف الشعب ، فلم يقف الأمر عند حدود الخلافات الدامية بين الشيعة والسنة التى اشعلها بنو بويه بمحاولة صبغ الدولة بالصبغة الشيعية ووقوفهم موقف النصراء للشيعة - كما قدمنا - بل تجاوزه الى أن تصبح هذه البلاد (العراق والأهواز وكرمان وفارس) مسرحا للصراع بين أبناء بويه الذين انتظمتهم دائرة من الخلافات الحادة طمعا فى الرئاسة والصدارة ، وشارك فيها الجنود المنقسمون من ديلم وأتراك بغبة النفوذ والتعصب المذهبى والعائد المادى مما شكل حالة مزمنة من عدم الاستقرار نشبه الحروب القبلية التى عرفها العرب قبل الاسلام • وقد استنفد الجميع قوتهم فى هذه الحرب حتى أصابهم الضعف وصاروا لقمة سائغة للأتراك السلاجقة فيما بعد • واصطلى الشعب كله بنيران هذه الحروب التى تدور على أراضيه والتى يمولها رغما عنه لمصلحة هؤلاء المتحاربين ، فحلت بالشعب المجاعات والأوبئة، وفقد الشعور بالأمن والأمان لانتشار اللصوص من العيارين الذين استغلوا هذا المناخ السيىء •

ولو وجه ما استنفد من هذه الأموال فى تلك الحروب الى مشروعات صالحة فى مجالات البناء والتشييد والزراعة وغيرها من أوجه الاقتصاد المثمر لجنى الشعب من وراء ذلك خيرا كثيرا •

على أنه يمكننا القول أن الدولة البويهية شانها شان كثير من الدول مرت بعهدين متميزين : الأول عهد قوة وشباب الدولة ، والثانى عهد ضعفها وشيخوختها ، وان كانت هذه الشيخوخة قد جاءت مبكرة نتيجة للمرض المبكر الذى أصابها بل حتى يمكن القول نتيجة للمرض الذى كانت تحمله منذ تاسيسها ، ولكنه لم يظهر بوضوح الا بعد مرور فترة احتضان المرض •

وقد كان البويهيون على شىء من القوة فى عهد أوائل أمرائهم : معز الدولة وبختيار وعضد الدولة ، وفى وجود ركن الدولة رب العائلة

الذى كان يعمل على نماسكها ويحرص على وشائج القربى حرصا شديدا ، ولكن بعد أن مات رب العائلة وبعد أن ترك الأبناء الأقوياء من ورائهم أبناء ضعفاء نشب بينهم الصراع الذى انتظم أكثر من نصف العهد البويهى واحترقت بلاد الخلافة بناره .

وتتضح هذه الحقائق كاملة باستعراض صور هدا الصراع والذى نجمله فيما يأتى :

عندما أحس معز الدولة (٣٣٤ - ٣٥٦هـ) بدنو أجله أوصى ابنه عز الدولة بختيار (٣٥٦ - ٣٦٧هـ/٩٦٧ - ٩٧٨م) بطاعة عمه ركن الدولة أبو على الحسن(١) واستشارته فى كل ما يفعله ، كما أوصاه بتقرير كاتبيه أبى الفضل العباس بن الحسين ، وأبى الفرح محمد بن العباس لكفاءتهما وأمانتهما ؛ مكا أوصاه بالديلم والأتراك وبالحاجب سبكتكين ، حتى تستتب له الأمور ، ولكن بختيار خالف وصايا أبيه جميعها « واشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمساخر والمغنين »(٢) ، وأساء صلته بكاتبيه وبالحاجب سبكتكين الذى ابتعد عنه حتى انه لم يعد يذهب الى داره ؛ كما قاده اسرافه الى الطمع فى اقطاعات كبار رجال الديلم فنفاهم ليتحكم فى اقطاعاتهم وأموالهم بل وأموال كل من يمت اليهم(٢) . فاتفق أصاغر الديلم على مطالبته بزيادة أرزاقهم فزادها لهم ، فحذا الأتراك حذوهم(٣) .

أما سبكتكين الحاجب فقد أدرك انتواء بختيار الغدر به فأخذ أهبته وانضم اليه الأتراك ، وشجع هذا الموقف على أن نخرج الديلم الى الصحراء وطالبوا بختيار باعادة قادتهم فأعادهم بختيار لاسيما وهو يرى سبكتكين يقف منه موقف العداء ، وكان هذا مشجعا للأتراك كذلك أن يفعلوا مثلما فعل الديلم(٤) .

وفى سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م أراد حبشى بن معز الدولة الاستقلال بالبصرة

---

(١) صاحب الرى وحمذان وأصبهان وطبرستان وجرجان وخرسان .
محمود شاكر : الدولة العباسية جـ٢ ص١٥٧ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٢٢ .
(٣) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص٢٢ .
(٤) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٢٢ .

حيث كان فيها منذ وفاة أبيه ، فكلف بختيار وزيره أبا الفضل العباس ابن الحسين بالقضاء على حركته(٥) ، واستخدم الوزير الحيلة في ذلك فراسل حبشي من واسط ووعده بتسليم البصرة اليه ان هو أمده بمال وقال له : « انني قد لزمني مال على الوزارة ولابد من مساعدتي »(٦) ، فأرسل حبشي اليه مائتي ألف درهم ، ولكن الوزير في أثناء ذلك كان قد راسل جند الأهواز للتوجه الى البصرة للالتقاء به ، فوصلوا اليه وأطبقوا على البصرة ووقع حبشي أسيرا ، ثم حبس في رامهرمز(٧) .

ونتيجة لازدياد نفوذ الأتراك استنجد بختيار بعضد الدولة ابن عمه ركن الدولة(٨) ، فوصل عليه عضد الدولة وهو يطمع في العراق ، واستغل ضعف بختيار واخذ يحرض عليه الجنود الديالمة سرا ليشغبوا عليه ويطالبوه بالأموال جزاء صبرهم معه على حرب الاتراك ، ووافق ذلك هوى هؤلاء الجند ففعلوا ما حرضهم عليه عضد الدولة وبالغوا في شغبهم وكان بختيار - نتيجة لاسرافه وسوء ادارته كما قال ابن الاثير : « لا يملك قليلا ولا كثيرا ، وقد نهب البعض ، واخرج هو الباقي والبلاد خراب فلا تصل يده الى اخذ شيء منها »(٩) ، ومن ناحية أخرى حرض عضد الدولة ابن عمه بختيار على الا يستجيب لطلبات جنده وأن يشتد معهم حتى لايطمعوا فيه ، بل ويبين له زهده في الامارة والرئاسة عليهم ، ووعده أنه اذا فعل ذلك توسط هو بينهم وبينه فتستقر له الأمور .

وعمل بختيار بنصيحة عضد الدولة فكانت وبالا عليه وتفاقمت الأمور ، وعضد الدولة يغرى به الجند حتى كادوا يزحفون اليه ويأتون عليه(١٠) .

---

(٥) ابن الأثير نفس المصدر جـ٧ ص٢٦ .

(٦) ابن الأثير نفس المصدر جـ٧ ص٢٦ .

(٧) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

(٨) وكتب اليه فان كنت ماكولا فكن أنت أكلي والا فادركني ولما أمزق . أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص١١٤ .

(٩) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص ٦٠ .

(١٠) مسكويه تجارب الأمم جـ٢ ص ٣٤٢ ، ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص ٦ .

ولم يف عضد الدولة لبختيار بما وعده به بل اكد للجند عجز بختيار واستعفاءه من منصبه(١١) ، وانه (اى عضد الدولة) سيسوسهم بالاحسان وسينظر فى أمورهم فسكن الجند وخمدت الفتنة ، ثم قبض على بختيار وعلى اخوته فى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٣٦٤هـ/٩٧٥م(١٢) .

وكان الخليفة الطائع راضيا بما آل اليه أمر بختيار لبغضه له ، وقد أرضى عضد الدولة الخليفة بأن أظهر له من التعظيم « ما كان قد نسى وترك »(١٣) وأمر بعمارة الدار والاكثار من الآلات وعمارة ما يتعلق بالخليفة وحماية اقطاعه وارسل الى الخليفة لدى دخوله بغداد مالا كثيرا وأمتعة وفرشا وغير ذلك ، واقر الأمور وقتل المفسدين من الشطار والعيارين(١٤) الذين كانوا يستغلون هذه الفتن للسلب والنهب والفساد.

وأجبر عضد الدولة بختيار أن يكتب الى ابنه المرزبان والى البصرة يطلب منه أن يفعل كما فعل ، فامتنع المرزبان رغم أن جنده من الديلم ورغم أن اسفسهلار(١٥) عسكره كان يميل الى عضد الدولة(١٦) .

وبادر المرزبان فقبض على محمد بن الجوهرى الذى حمل اليه رسالة أبيه ، كما قبض على محمد بن دربند اسفسهلار جنده ؛ ثم أرسل رسالة الى عمه ركن الدولة يطلعه على جلية الأحداث ويطلب منه ألا يصدق ما يرسله اليه فى هذا الشان عضد الدولة أو وزيره أبو الفتح ابن العميد فانما « هو تمويه ، وأن الحيلة استمرت وتمت لهما على القبض على أبيه وأنه امتنع ثقة بتداركه اياه ومعه »(١٧) .

---

(١١) أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص١١٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ١ ص٢٩٩ .
(١٢) أبو الفدا : نفس المصدر جـ٢ ص١١٤ ، ابن الوردى : نفس المصرد جـ١ ص٢٩٩ .
(١٣) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص ٦٠ .
(١٤) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص ٦٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٧٩ .
(١٥) سفسهلار : قائد الجيش ، البقلى : مصطلحات صبح الأعشى
(١٦) مسكويه : تجارب الأمم جـ٢ ص٣٤٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ١ ص٢٩٩ .
(١٧) مسكويه : تجارب الأمم جـ٢ ص٣٤٤ - ٣٤٥ .

وهنا تظهر حكمة ركن الدولة كبير العائلة وحرصه على وحدة البيت البويهى وتماسكه وكان قد أبدى شديد ألمه لما حدث من ابنه فى حق ابن عمه حتى انه « ألقى نفسه عن سريره الى الأرض وتمزغ عليها ، وامتنع من الأكل والشرب عدة أيام ومرض مرضا لم يستقل منه باقى حياته »(١٨) ٠

وقد أرسل ركن الدولة الى امرزبان يشجعه على مقاومة عضد الدولة ويعده بأن يسير بنفسه الى بغداد حتى يضع الأمور فى نصابها ، ولم تجد رسائل عضد الدولة ولا وزيره أبى الفتح ابن العميد أذنا صاغية لدى ركن الدولة ، وكان عضد الدولة عرض على أبيه أن يحمل اليه عن أعمال العراق ثلاثين مليونا من الدراهم يعلم أن ركن الدولة فى حاجة اليها يعجل له منها عشرة ملايين وأن يرسل اليه بختيار واخوته ليجد لهم مكانا فى بلاده(١٩) ، كما عرض عليه أن يحضر - أى ركن الدولة - الى العراق فيلى بنفسه امرها ويصرف بختيار الى الرى ويعود عضد الدولة الى فارس(٢٠) ، ثم هو يهدد بعد ذلك بقتل بختيار اذا أصر ركن الدولة على تصرفه(٢١) ٠

وقد اثبت ركن الدولة أنه رجل مبادىء وقيم لا يثنيه عن ذلك ترغيب أو تهديد فارسل يتهدد ابنه عضد الدولة ووزيره أبا الفتح ابن العميد : « لاتركنك وذلك الفاعل ثم لا اخرج اليكما الا فى ثلاثمائة جمازة عليها الرجال ، ثم اثبتوا ان شئتم فوالله لا اقاتلكما الا باقرب الناس اليكما »(٢٢) ٠

وهكذا كان ركن الدولة حريصا على تماسك البيت البويهى من أن تعصف به رياح الطمع ، وفيا لأخيه معز الدولة الذى كان يحبه محبة شديدة لانه رباه فكان عنده بمنزلة الوالد(٢٣) ٠ وقد روى أنه كان يرى

---

(١٨) مسكويه : نفس المصدر جـ٢ ص٣٤٥ ٠
(١٩) مسكويه : نفس المصدر جـ٢ ص٣٤٨ ٠
(٢٠) مسكويه : نفس المصدر جـ٢ ص٣٤٩ ٠
(٢١) مسكويه : نفس المصدر جـ٢ ص٣٤٩ ٠
(٢٢) ابن الاثير : الكامل جـ٧ ص٦١ ، أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص١١٥ ٠
(٢٣) ابن الاثير : نفس المصدر جـ٧ ص٦١ ٠

اخاه فى المنام كل ليلة وهو يقول له : « يا اخى هكذا ضمنت لى أن تخلفنى فى أهلى وولدى » .

وقد اضطر عضد الدولة فى النهاية إمام هذا الموقف الرائع من ابيه أن يترك العراق ويعود الى فارس بعد أن افرج عن بختيار واعاده الى ولايته وان كان قد اشترط أن يكون بختيار نائبا عنه بالعراق وأن يخطب له ، وأن يجعل اخاه أبا اسحق أمير الجيش ليضعف أمر بختيار ، فقبل بختيار ذلك ، غير انه بعد أن استقرت له الامور فى بغداد مرة أخرى لم يف بما عاهد عليه عضد الدولة(٢٤) .

وتوفى ركن الدولة فى المحرم سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م(٢٥) فى مدينة الرى بعد أن عهد بالملك من بعده الى ولده عضد الدولة وجعل له السيطرة على اخويه فخر الدولة ومؤيد الدولة بعد أن عهد لفخر الدولة بحكم همذان واعمال الجبل ولمؤيد الدولة بحكم أصبهان وأعمالها ، وأوصى أولاده قبل موته بضرورة الحفاظ على وحدة البيت البويهى لأن وحدته أساس قوتهم .

وكانت وفاته خسارة فادحة للبيت البويهى ، وفى فداحة الخسارة بموته قال ابن الاثير : « فاصيب به الدين والدنيا جميعا لاستكمال جميع الخير فيه »(٢٦) ، ولم ينس ابن الاثير أن يشير الى موقفه الكريم من بختيار ابن أخيه حيث قال : « وفى فعله فى حادثة بختيار ما يدل على كمال مروءته وحسن عهده وصلته لرحمه »(٢٧) .

الخلافات البويهية بعد وفاة ركن الدولة :

كانت وفاة ركن الدولة اذانا بفتح باب الشر على مصراعيه بين بنى

---

(٢٤) ابن الاثير : الكامل جـ٧ ص٦٢-٠

(٢٥) ابن الاثير : الكامل جـ٧ ص ٨٠ ، ابن العماد الحنبلى جـ٣ ص٥٥ ويجعل ابن الوردى وفاته فى المحرم سنة ٣٦٥هـ . تتمة المختصر جـ١ ص ٣٠٠ .

(٢٦) ابن الاثير : الكامل جـ٧ ص ٨٠ ، وانظر ابن الوردى : تتمة المختصر جـ١ ص ٣٠٠ .

(٢٧) ابن الاثير : نفس المصدر جـ٧ ص ٨٠ .

بويه فلم ينس عضد الدولة حلمه القديم بامتلاك العراق ، كما كان يمتلىء غيظا لعودة بختيار عما عاهده عليه ، كما كان يحنقه محاولات بختيار احتـد ب صـحب الأطراف نبـه نعمه ان هدفه التفـوى بهـم فى مواجهته (٢٨) .

وتوجه عضد الدولة الى العراق فى ذى القعدة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م ، فأشار ابن بقية وزير بختيار عليه بالخروج الى الأهواز لملاقاة ابن عمه، وساء موقف بختيار حين تخلى عنه بعض انصاره فلم يؤازروه فى حربه ضد عضد الدولة كحسنويه الكردى وأبى تغلب بن حمدان ، كمـا أن بعض جنوده انصرفوا عنه وانضموا الى جيش عضد الدولة ، وتخبـط بختيار بين البقاء فى واسط أو العودة الى بغداد وقبض على وزيره ابن بقية فى محاولة لارضاء عضد الدولة ، وانتهى أمره بقبول عرض عضـد الدولة اليه بترك العراق على أن يمده عضد الدولة بحاجته من المال والسلاح وغير ذلك ، وسلم بختيار وزيره ابن بقية الى عضد الدولة بعد ان قلع عينيه وخرج قاصدا بلاد الشام فى حين دخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها وضرب على بابه ثلاث نوب « ولم تجر بذلك عادة من تقدمه »(٢٩) ، وهكذا تمكنت الأمور له فى بغداد(٣٠) كما كان يريد ، وانتقم من الوزير ابن بقية بان القاه بين قوائم الفيلة فقتلته ، وصلب على جسر بغداد فى شوال سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م .

أما بختيار فانه خرج قاصدا الشام وبصحبته ناصر الدولة بن حمدان فزين له ناصر الدولة قصد الموصل ولاية أبى تغلب بن حمدان فهى خير من الشـام واسـهل ، وكان ناصر الدولة قد زين له ذلك لعـداوته مع اخيه ابى تغلب فقصدها بختيار رغم أن عضد الدولة كان قد أخذ عليه العهد بالا يقصدها فنسى بختيار عهده ولم يف به لعضـد الدولة ؛ وفى الطريق الى الموصل وصلته رسل أبى تغلب تطلب منه تسليم حمدان الى

---

(٢٨) وفى هذا المجال اجتذب بختيار اليه حسنوية الكردى وأبى تغلب بن حمدان وعمران بن شاهين بن واستمال اليه فخر الدولة اخا عضد الدولة .

(٢٩) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٩٠ .

(٣٠) أبو المحاسن النجوم الزاهرة جـ٤ ص١٢٩ .

ابى تلغب على ان يقوم ابو تغلب بمساعدته لاسترداد ملكه بالعراق فقبض على حمدان وسلمه الى رسل أبى تغلب فحبسه فى احدى قلاعه، ووفى أبو تغلب لبختيار وسار معه بجيش كبير بلغت عدته عشرين الفا، واسرع عضد الدولة بملاقاتهما فى الطريق بقصر الجص بنواحى تكريت(٣١) ، وهزم جيش الحليفين ، ووقع بختيار أسيرا فى يد عضد الدولة فأمر بقتله فقتل ، وقتل عدد كثير من أصحابه ، وهكذا استقر الملك لعضد الدولة ، وخلا له الجو مما كان يمكن أن يكدره(٣٢) .

ومن ناحية اخرى تلعب عضد الدولة على اخيه فخر الدولة الذى آزر بختيار وقصد بلاده ، فهرب فخر الدولة الى بلاد الديلم ، فاستولى عضد الدولة على بلاده وهى همذان والرى وما بينهما من البلاد وسلمها الى أخيه مؤيد الدولة وجعله نائبه فى تلك البلاد(٣٣) .

واستقرت الأمور تماما فى العراق وسلم من الفتن ، وعمرت مساجده واسواقه ، وامر عضد الدولة أصحاب الخرائب بضرورة عمارتها ، وأجرى كثيرا من الاصلاحات ؛ ثم توفى بعد خمسة أعوام ونصف وذلك فى سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م(٣٤) بعد أن عهد بالملك بعده لابنه صمصام الدولة ابى كاليجار (٣٧٢ - ٣٧٦هـ/٩٨٢ - ٩٨٦م) ، وخلع الخليفة الطائع على صمصام الدولة « الخلع السبع والعمة السوداء وسور وطوق وتوج، وعقد له لواءان وحمل على فرس بمركب ذهب ، وقيد بين يديه مثله وقرىء عهده بتقليده الدعوة من جميع الممالك »(٣٥) .

---

(٣١) تكريت : مدينة كبيرة واسعة الأرجاء ، ودجلة منها فى حوافيها ، ولها قلعة حصينة على الشط ، هى قصبتها المنيعة ، ويطيف بالبلد سور ، وهى من المدن العتيقة ،ابن جبير : الرحلة ص٢١٩

(٣٢) ابن الاثير : الكامل جـ٧ ص٩٢ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٧١ ، وانظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص١٢٩ .

(٣٣) ابن الاثير : الكامل جـ٧ ص١٠٢ .

(٣٤) ابن الاثير : نفس المصدر جـ٧ ص١١٣ .

(٣٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص٨٤ .

الحلافات البويهية بعد وفاة عضد الدولة :

سار الصراع بين بنى بويه بعد وفاة عصد الدولة فى ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى :

الصراع بين شرف الدولة وصمصام الدولة وبهاء الدولة :

بعد أن ولى صمصام الدولة امرة الأمراء خلفا لأبيه اراد ان يحول بين أخيه الأكبر شرف الدوله أبى الفوارس شيرربل الذى كان بكرمان(٣٦) آنذاك وبين الوصول الى فارس فاقطع فارس لأخويه أبى الحسين احمد وأبى طاهر فيروزشاه ، ولكن شرف الدولة كان أسرع من هذين الأخوين ووصل الى فارس قبلهما وأعلن خروجه على صمصام الدولة وقطع خطبته وخطب لنفسه وتلقب بتاج الملة ، ونجح شرف الدولة فى استقطاب أبى الحسين أحمد وأقطعه البصرة بعد أن استولى عليها ، فتوجه صمصام الدولة لحرب شرف الدولة والتقيا خارج قرقوب(٣٧) ولكن شرف الدولة انتصر عليه بمساعدة أبى الحسين بن عضد الدولة الذى بدأ نجمه يعلو فاستولى على الأهواز وعلى رامهرز وحدثته نفسه بان يئول الملك اليه(٣٨) .

وقد حاول الخليفة الطائع نفسه التدخل للاصلاح بين شرف الدولة وصمصام الدولة ، ولكن الصلح لم يتم(٣٩) .

واتسعت هوة الخلاف بين الأخوين واستغل شرف الدولة شغب الجند الأتراك على صمصام الدولة فى سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م وزاد طمعه فى العراق ، ورأى صمصام الدولة مصالحته والدخول فى طاعته ولكن أصحابه حرضوه على غير ذلك ، وصمم الصمصام على التوجه الى أخيه ، ولكنه عندما

---

(٣٦) كرمان : صقيع كبير واقليم واسع بين فارس وسجستان ومكران وقصبتها كرمسير والسيرجان ، ياقوت : المشترك ص٣٧٢ وانظ أبو الفدا : تقويم البلدان ص٣٣٤ .

(٣٧) قرقوب : مدينة مشهورة قريبة من الطيب بين واسط والأهواز ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص٣١٤ .

(٣٨) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١١٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ١ ص٣٣٦ - ٣٣٧

(٣٩) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص١٢٦ .

توجه اليه اعتقله شرف(٤٠) الدولة وتوجه الى بغداد ، فاستقبله الخليفة الطائع استقبالا حافلا وجلس له جلوسا عاما وخلع عليه الخلع السلطانية، وتوجه وسوره وعقد له بيده لواءين اسود وابيض وقرىء عهده بين يديه(٤١) ، وقد وصف أبو شجاع استقبال الطائع لشرف الدولة فقال : « ركب شرف الدولة فى طيار(٤٢) بعد أن ضربت له القبان على شاطىء دجلة وزينت الدور التى عليها فى الجانبين باحسن زينة »(٤٣) .

وصارت بذلك امرة الامراء لشرف الدولة فى سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م ، وانتهى حكم صمصام الدولة بعد حكم دام ثلاث سنين واحد عشر شهرا(٤٤)؛ ولم يقبل شرف الدولة قتل صمصام الدولة بناءا على مشورة البعض ، واشار بسمله وهو فى مرض موته خشية منه على دولته وقال : « فان لم يكن القتل فالسمل »(٤٥) ، ومات شرف الدولة دون أن يتم ذلك فى سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م ولكن أبا القاسم العلاء بن الحسن أشار بسمله فسمل فكان صمصام الدولة يقول : « ما أعمانى الا العلاء لأنه أمضى فى حكم سلطان قد مات »(٤٦) .

وآلت الأمور بعد وفاة شرف الدولة الى ابنه بهاء الدولة وأتاه الطائع فى زبزب لتعزيته(٤٧) ، ثم خلع عليه خلع السلطنة .

---

(٤٠) الفارقى : تاريخ الفارقى ص٥٥ .
(٤١) الفارقى نفس المصدر ص٥٥ .
(٤٢) طيار : أحد مراكب الأنهار . ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية .
(٤٣) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص١٤٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٣٣ .
(٤٤) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص ١٣٠ ، أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص١٢٤ ، واذكر أبو الفدا أن صمصام الدولة حكم مدة ثلاث أعوام .
(٤٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص١٤٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٣٨ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٧٣ .
(٤٦) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٣٨ .
(٤٧) زبزب : نوع من مراكب الأنهار . متز : الحضارة الاسلامية جـ٢ ص٣٩٨ ، ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص٧٥ .

المرحلة الثانية من الصراع :

بدأت المرحلة الثانية بولاية بهاء الدولة فى سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م بينه وبين صمصام الدولة الذى تمكن من الهرب من اعتقاله ، وفخر الدولة الذى كان يطمح الى ملك العراق منذ أيام شرف الدولة(٤٨) .

وكان طمع فخر الدولة فى العراق يعديه وزيره الصاحب ابن عباد الذى كان يرنو ببصره الى الوزارة فى بغداد ، وتمكن فخر الدولة من الاستيلاء على الأهواز ولكن جيش بهاء الدولة ألحق به الهزيمة بعد ذلك بعد أن عاونت عوامل الطبيعة هذا الجيش حيث أن « دجلة الأهواز زادت ذلك الوقت زيادة عظيمة وانفتحت البثوق منها فظنها عسكر فخر الدولة مكيدة فانهزموا »(٤٩) ؛ وعاد فخر الدولة الى الرى .

أما صمصام الدولة الذى هرب والتف حوله كثير من الديلم فقد أرسل اليه بهاء الدولة جيشا التقى به عند سيراز(٥٠) ، وتبادل الجيشان النصر ، واستقر الوضع على أن تصالح الأخوان بحيث يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وأرجان(٥١) ، ولبهاء الدولة خوزستان والعراق ، وأن يكون لكل واحد منهما اقطاع فى بلد صاحبه(٥٢) .

على أن الصراع نشأ من ناحية أخرى سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م حين أخرج

---

(٤٨) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص١٨٧

(٤٩) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص ١٤٠ .

(٥٠) مدينة مشهورة بفارس بايران ، منها الى أصبهان اثنان وسبعون فرسخا ، بناها فى الاسلام محمد بن القاسم ابن عم الحجاج بن يوسف ، وسميت سيراز تشبيها بجوف الأسد . الاصطخرى : المسالك والممالك ص٧٦ - ٧٧ ، ابن حوقل : صوره الأرض ص٣٤٨ الى ٣٤٩
وانظر
Le Strange, Lands of The Eastern Caliphate, P. 284 .

(٥١) أرجان : فى آخر حد فارس من جهة خوزستان وهى بين فارس وخوزستان . أبو الفدا تقويم البلدان ص٣١٨ . وانظر
Le Strange. Ibid. P 284 & 304 & 306 .

(٥٢) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٤٥

الديلم أبناء بختيار من معتقلهم وانضموا اليهم فحاربهم صمصام الدولة ؛ وقبض على أبناء بختيار من جديد وقتل اثنين منهم(٥٣) .

على أن بهاء الدولة نقض فى سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م الصلح مع صمصام الدولة ، فجهز الصمصام جيشا تمكن من هزيمة جيش بهاء الدولة وأسر قائده وامتلك خوزستان فوجه اليه بهاء الدولة جيشا فى سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م بقيادة قائد تركى يسمى طغان الحق الهزيمة بجيش صمصام الدولة الذى كان فى أغلبه من الديلم واستعاد الأهواز وجميع اعمالها(٥٤) .

وقد انتقم صمصام الدولة من الأتراك بفارس لمناصرتهم جيش طغان، ثم جهز جيشا من الديلم استعاد به الأهواز فى(٥٥) سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م ؛ ثم استولى قائده لشكرستان على البصرة من نواب بهاء الدولة(٥٦) .

وقد شهد عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م وفاة فخر الدولة وآل ملكه الى ابن صغير فى الرابعة من عمره(٥٧) فسيطرت أمه على الأمور .

وتمكن فى عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م ابنان لبختيار من الهرب من معتقلهما للمرة الثانية والتف حولهما الديلم الذين تمردوا على صمصام الدولة ؛ ووقع صمصام الدولة أسيرا فامر أبو نصر بن بختيار بقتله انتقاما لأبيه وقال له : « هذه سنة سنها ابوك » يعنى ما كان من قتل عضد الدولة لبختيار(٥٨) ، ونالت يد الانتقام ام الصمصام حيث سلمها ابو نصر بن بختيار الى لشكرستان فعذبها للحصول منها على أموال ولكنها لم تعطه درهما ، فقتلها وبنى عليها دكة فى داره(٥٩) .

---

(٥٣) كان أولادبختيار ستة، وكان شرف الدولة عفا عنهم قبل موته . أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص١٠٩ .
(٥٤) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص٢٥٧ .
(٥٥) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص ١٧٠ .
(٥٦) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص١٨١ .
(٥٧) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٧٨ .
(٥٨) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٩٢ ، أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص٣١٥ . وانظر : أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص١٣٤ .
(٥٩) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص٣١٥ ، وابن الأثير : الكامل جـ٧ ص١٩٣ ، وقد أخرجها بهاء الدولة بعد ملكه فارس ودفنها فى مدافن بنى بويه ، أبو شجاع : ص٣١٥ .

وتمكن أبو نصر بختيار من امتلاك فارس ، فأرسل اليه بهاء الدولة جيشا تمكن من هزيمة أبى نصر بختيار فى شيراز ، ولكن أبا نصر تمكن من امتلاك كرمان[٦٠] ، فأرسل اليه بهاء الدولة جيشا بقيادة الموفق على ابن اسماعيل فهزم أبو نصر بعد ان غدر به بعض اصحابه وقتلوه وأرسلوا رأسه الى الموفق ، واستعاد الموفق كرمان . واحتفل بهاء الدولة به لدى عودته وكرمه[٦١] .

ثم توفى بهاء الدولة فى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[٦٢] ، وكانت وفاته ايذانا ببدء المرحلة الثالثة من النزاعات الأسرية .

المرحلة الثالثة من النزاع :

نشأ الصراع فى هذه المرحلة بين ابناء بهاء الدولة : سلطان الدولة أبى شجاع (٤٠٣ - ٤١٥هـ/١٠١٢ - ١٠٢٤م) ، وجلال الدولة أبى طاهر ، وأبى الفوارس ؛ وكان سلطان الدولة قد ولى جلال الدولة البصرة وقوام الدولة أبا الفوارس كرمان ؛ بينما ولى أخاه مشرف الدولة امرة الأمراء ببغداد وأقام سلطان الدولة فى شيراز[٦٣] ؛ ولعل تفضيل سلطان الدولة لشيراز أن من كان يملكها لا يغلب بالاضافة الى أنه يستطيع التحكم فى المنطقة العراقية وفى منطقة الجبل على حد سواء[٦٤] .

وقد بدأ أبو الفوارس الصراع مع سلطان الدولة فى سنة ٤١٧هـ/١٠١٦م حيث أطمعه الديلم فى امتلاك بلاده ، ودخل أبو الفوارس شيراز فعلا غير أنه ما لبث أن هزم وعاد الى كرمان ، وتتبعه سلطان الدولة

---

(٦٠) كرمان . ولاية واسعة معمورة فى جنوبها بحر فارس .
Le Strange, Lands of the Eastern Caliphate, P.337
(٦١) ثم لم يلبث بهاء الدولة أن قبض على الموفق بعد ذلك وقتله فى سنة ٣٩٤هـ . ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٢٠٦ .
(٦٢) عن نيف واثنين واربعين . ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص٢٦٨ ، الذهبى : دول الاسلام جـ١ ص٢٤١ . وانظر : ابن عماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ٣ ص١٦٦ .
(٦٣) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٣١٢ وانظر : أحمد الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص٥٣٣ .
(٦٤) ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص٥٣٣ .

الى كرمان ، فالتجأ الى محمود بن سبكتكين فى خراسان فأمده بجيش استعاد به كرمان ثم تمكن من دخول شيراز مرة أخرى غير أنه ما لبث أن هزم وتملك سلطان الدولة فارس وكرمان ثم أعاد كرمان الى أخيه أبى الفوارس مرة أخرى بعد مصالحته(٦٥) .

ثم نشب الصراع فى سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م بين أبى على مشرف الدولة وبين سلطان الدولة حين قطع مشرف الدولة الخطبة لأخيه فى بغداد وخطب لنفسه بها ، ولكن سلطان الدولة قرر معه الأمور فى سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م على أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة ، وأن يكون فارس وكرمان لسلطان الدولة(٦٦) .

وبوفاة سلطان الدولة فى سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م صارت فارس الى ابنه أبى كاليجار وكرمان لأخيه أبى الفوارس(٦٧) بعد صراع قصير .

وشهدت سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م وفاة مشرف الدولة فخطب من بعده لأخيه جلال الدولة ثم قطعت الخطبة له وخطب لأبى كاليجار بن سلطان الدولة ثم أعيدت الى جلال الدولة مرة أخرى فى جمادى الأولى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م .

ومما يستلفت النظر هنا أن الخطبه لجلال الدولة ثم لأبى كاليجار ثم لجلال الدولة ثانية تمت بموافقة من الخليفة العباسى القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢هـ) بناءا على رغبة الأتراك الذين تحكموا آنذاك فى مقدرات الأمور فى العراق ، وقد أرسلوا اليه فى اعادة الخطبة الى جلال الدولة يقولون : « ان أمير المؤمنين صاحب الأمر ونحن العبيد ، وقد أخطأنا ونسأل العفو وليس عندنا الآن من يجمع كلمتنا ، ونسأل أن ترسل الى جلال الدولة ليصعد الى بغداد ويملك الأمر ويجمع الكلمة ويخطب له فيها »(٦٨) .

---

(٦٥) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٢٩٤ .
(٦٦) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٣١٢ .
(٦٧) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص١١٧ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٨٠ .
(٦٨) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص٣٢٩ .

وتمكنت الامور لجلال الدولة فى بغداد ، وأمر بضرب الطبل فى أوقات الصلوات الخمس بعد أن كان الخليفة اعترض فى أول الأمر(٦٦).

واستولى أبو كاليجار فى سنة ٤١٩هـ/١٠٢٩م على البصرة من يد الملك العزيز بن جلال الدولة مستغلا الفتنة بين الديلم والأتراك ، وفى نفس الوقت لم يتمكن جلال الدولة من استعادتها بسبب تمرد الجند الأتراك عليه مطالبين بزيادات أرزاقهم كما هى عادتهم ، واستولى أبو كاليجار كذلك فى نفس هذا العام على كرمان دون قتال على اثر وفاة صاحبها أبى الفوارس ؛ كما امتلك واسط فى سنة ٤٢٠هـ/١٠٣٠م ، وخطب له فى البطيحة ، وبدا أن نجم أبى كاليجار فى صعود وأطمعته انتصاراته المتوالية فى الانحدار الى بغداد بعد أن استشعر ضعف جلال الدولة عن التصدى له ، وكان أصحابه كذلك أشاروا عليه بذلك وقالوا له : « ما عدل جلال الدولة عن القتال الا لضعف فيه والرأى أن تسير الى العراق فتأخذ من أموالهم ببغداد أضعاف ما يأخذون منا »(٧٠) ؛ وفى تلك الأثناء وصلته الأنباء ان محمود بن سبكتكين ينوى قصد بغداد ، فرأى أبو كاليجار مخاطبة جلال الدولة الذى كان توجه الى الأهواز لجمع كلمة بنى بويه فى وجه هذا الخطر المرتقب ، فلم يجد منه استجابة بل ان جلال الدولة « اخذ والدة أبى كاليجار وابنته وام ولده وزوجته فماتت أمه ، وحمل من عداها الى بغداد »(٧١) ؛ فتوجه أبو كاليجار للقاء جلال الدولة على الأهواز فهزمه جلال الدولة ثم توجه الى واسط ، وعاد أبو كاليجار الى الأهواز ، وأعاد جلال الدولة ابنه الملك العزيز الى ولاية واسط ثم عاد الى بغداد(٧٢) .

وفى سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م استعاد جلال الدولة البصرة من أبى كاليجار ولكن جنده سرعان ما وقع بينهم الاختلاف فاستردت منهم البصرة(٧٣) .

ويلاحظ أنه بدءا من سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م بدا أن دولة بنى بويه بدأت

---

(٦٩) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٣٢٩ ، أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص ١٥٦ .

(٧٠) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص٣٣٧ ، ابن الوردى تتمة المختصر جـ٢ ص٣٣٩ .

(٧١) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص٣٣٧ .

(٧٢) ابن الأثير : الكامل جـ٧ ص٣٣٧ .

(٧٣) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٧ ص٣٥١ .

في الاضـمحلال ويدب في النقصان(٧٤) ؛ ويعـود السبب في ذلك الى أن الأتراك صاروا القوة المسيطرة على الدولة فهـم يجعلون الخطبـة لمن يشاءون ويقطعونها عمن يشاءون ، فاعلنوا الخطبة باسم أبى كاليجـار سنة ٤٢٣هـ/١٠٣٢م ، ولما لم يصل ابو كاليجار سريعا الى بغداد أعلنوها باسم جلال الدولة واعتذروا اليه(٧٥) ؛ وفي سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٣م شـغب الجند الأتراك على جلال الدولة وطلبوا منه خروجه الى واسط وأن يترك في بغداد بعض أصاغر أولاده ، فاسترضاهم جلال الدولة وحلف لهم على اخلاص النية والاحسان اليهم فرضوا عنه(٧٦) .

ويذكر ابن الوردى في أحداث سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٥م أن أمر الخلافة والسلطنة قد انحل ببغداد ، وأن العيارين اخذوا في النهب بلا مانـع والسلطان جلال الدولة لا يمتثل له أمر والخليفة كذلك وقطعت العـرب الطرقات(٧٧) .

وبلغ الأمر في سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م أن ثار الجند ببغداد على جـلال الدولة وصمموا على أن يخرج من بغداد ، فاستمهلهم ثلاثة أيام يتـدبر خلالها من الأموال ما يرضيهم فلم يقبلوا ورموه بالحجارة وأصابوه بها ، فخرج هاربا من بغداد ، فكسروا أبواب داره وقلعوا كثيرا من ساجهـا وأبوابها »(٧٨) .

وتدخل الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ/١٠٣١ - ١٠٧٤م) بين جلال الدولة والجند الأتراك وأعاد جلال الدولة ثانية الى بغداد .

وحاول أبو كاليجار وجلال الدولة إصلاح الأمور بينهما فاصطلحا في سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٧م وأكد هذا الصلح بزواج أبى منصور بن أبى كاليجار من ابنة جلال الدولة(٧٩) ، وربما كان هذا حين استشعرا أن حروبهما

---

(٧٤) الفارقى : تاريخ الفارقى ص١٥٤ .
(٧٥) ابن الأثير : المصدر السابق جـ٨ ص٢ .
(٧٦) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٨ ص٥ .
(٧٧) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ١ ص٣٤١ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق١ ص٤٩ .
(٧٨) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص٥ ، أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص١٥٨
(٧٩) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٨ ص١٤ .

تزيد من استشراء الجند الاتراك ولو أن هذا الصلح جاء متأخرا ٠

ولعله اكن من الغريب وجلال الدوله على هذه الدرجة من الضعف أن يطلب من الخليفة القائم أن يلقبه بلقب شاهنشاه أى ملك الملوك ، ولعل الأغرب من ذلك أن الخليفة أجابه الى ذلك(٨٠) ٠

وفاة جلال الدولة وتفرد أبى كاليجار :

وضع القدر حدا للصراع الذى دار بين جلال الدولة وأبى كاليجار عندما توفى جلال الدولة سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٣م وقد تعجب ابن الأثير من دوام ملكه سبعة عشر عاما تقريبا رغم ضعفه وتسلط الجند الأتراك عليه فقال : « ودوام ملكه الى هذه الغاية علم أن الله على كل شىء قدير يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء »(٨١) فتولى أبو كاليجار مكانه بعد أن اشترى ولاء القواد والجند الأتراك بأموال عجلها اليهم فى حين تخلى جند العزيز ابن جلال الدولة عنه واضطر الى الهرب(٨٢) ٠

واستقرت الأمور لأبى كاليجار فى بغداد وأرسل الى الخليفة القائم يسترضيه بعشرة آلاف درهم وهدايا كثيرة فلقبه الخليفة محيى الدين وأمر بأن يخطب له فى بغداد ، فخطب له فيها فى شهر صفر سنة(٨٣) ٤٣٦هـ/١٠٤٤م ٠

وفى هذه الآونة كان الخطر السلجوقى اتخذ شكلا عمليا يتهدد سلطان بنى بويه وحاول أبو كاليجار ابعاد هذا الخطر او تأخيره فصالح طغرلبك وصاهره(٨٤) ٠ ثم توفى أبو كاليجار فى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م ليخلفه ابنه أبو نصر خره فيروز فى آخر مراحل حياة دولة بنى بويه٠

---

(٨٠) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٨ ص١٦ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق١ ص٤٩ ٠

(٨١) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص٣٧ ٠

(٨٢) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٨ ص ٤٠

(٨٣) ابن الأثير : نفس المصدر جـ٨ ص ٤٠ ، ابن الوردى تتمة المختصر جـ١ ص٣٤٩ ٠

(٨٤) انظر تفصيلات ذلك فى الفصل الثالث من هذا الكتاب ٠

الملك الرحيم ونهاية الدولة :

تلقب ابو نصر بالملك الرحيم رغم معارضة القائم اولا - كما قدمنا -، ولم تخل تلك المرحلة من صراع الاخوة الأعداء فقد دار الصراع فيها بين ستة من الأخوة هم الملك الرحيم والأمير أبى منصور فلادستون وأبى طالب كامرو وابى المظفر بهرام وأبى على كيخسرو وأبى سعد خسروشاه بالاضافة الى ابى على بن أبى كاليجار الموجود بالبصرة(٨٥) وكانت منازعاتهم ندور للسيطرة حول شيراز والأهواز واصطخر وواسط والبصرة ، ورغم عدم خطورتها الا أنها أضافت مزيدا من الضعف فى البيت البويهى أمام الخطر السلجوقى(٨٦) الذى يشارف دق أبواب بغداد .

وزاد الأمر فى بلاد العراق خطورة آنذاك تفجر فتنة البساسيرى(٨٧) الذى خطب للمستنصر بالله الفاطمى مدة سنة هجرية فى بغداد لبس فيها الخطيب والمؤذنون الثياب البيض وزيد فى لأذان « حى الى خير العمل »(٨٨) ، وقد حمل الخليفة العباسى القائم أسيرا الى الحديثة بين الرقة والفرات(٨٩) حتى أعاده طغرلبك السلجوقى .

---

(٨٥) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص٤٨ .

(٨٦) انظر Ency de Li, Art Seldjuks.

(٨٧) هو مقدم الأتراك ببغداد ، ويقال انه كان من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بوية ونسبه الى بلدة بفارس يقال لها « بسا » وبالعربية « فسا » كان منها سيده فنسب الملوك اليه ، واشتهر بالبساسيرى ، وهى نسبة شاذة على خلاف الأصل اذ أن النسبة اليها فى العربية « فسوى » . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص٧٢ وروض المناظر فى حوادث سنة ٤٥٠هـ ، وانظر : العصامى : فتنة البساسيرى : سمط النجوم العوالى جـ٣ ص٤٣٢ - ٤٣٤ .

(٨٨) أبو الحسن على بن طاهر : الدول المنقطعة ص ١٥٣ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٨٨ ، وكان دخول اصحاب البساسيرى بغداد فى ٦ ذى القعدة سنة ٤٥٠هـ وخرج أهله وأولاده منها فى مثل ذلك من السنة التالية . سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٩ ص١٨١ .

(٨٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٨٩ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ص٢٥٣ ، وانظر ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ٩ ص١٨١ وانظر كذلك ص١٨٥ - ١٨٦ .

وقد دخل طغرلبك بغداد باستدعاء من الخليفة القائم بأمر الله فى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ليضع حدا للفوضى الضاربة فى بلاده ، ولدى وصول طغرلبك حلوان(٩٠) حدث الهلع والفزع فى بغداد ، وفى تلك الاثناء ترك الملك الرحيم واسط الى بغداد وقد انفصل عنه البساسيرى ، وكان تحرك الملك الرحيم بناءا على كتاب وصله من الخليفة القائم يقول فيه : « أن البساسيرى خلع الطاعة وكاتب الأعداء - يعنى المصريين - وان الخليفة له على الملك عهود وله على الخليفة مثلها ، فان آثره فقد قطع ما بينهما ، وان أبعده وأصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير أمره »(٩١) ، فقال الملك الرحيم : « نحن لأوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون »(٩٢) .

وهكذا أظهر الملك الرحيم ولاءه للخليفة ولكن انفصال البساسيرى عنه كان ايذانا بزوال قوته ، ولعل الملك الرحيم لو آزر البساسيرى فى حركته التى اثبتت قوتها لكان من المحتمل أن يتحقق أمل البويهيين الأوائل فى تحويل الخلافة عن بنى العباس الى بنى فاطمة .

على أية حال دخل طغرلبك بغداد وخطب له على منابرها وقبض على الملك الرحيم وسجنه حتى مات(٩٣) ليبدأ عهد وينتهى عهد وانتهى عهد بنى بويه رسميا فى آخر شهر رمضان سنة(٩٤) ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ذلك العهد الذى تحولت فيه بلاد الخلافة الى ساحات قتال بين « الأخوة الأعداء » فى شتى مراحل حكمهم وبين الجنود المنقسمين عنصريا الى ديلم وترك والمختلفين مذهبيا بين شيعة وسنة ، فسالت دماء وانتهبت أموال وفقد الأمن والأمان وكان الشعب هو الخاسر فى شتى الأحوال .

وكانت عدة من ملك بغداد من بنى بويه أحد عشر ، ومدتهم ببغداد

---

(٩٠) حلوان العراق آخر حدود السواد مما يلى الجبال بينه وبين بغداد خمس مراحل . ياقوت : المشترك ص١٤٢ .

(٩١) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص٦٦ ، ابن ميسر : أخبار مصر جـ٢ ص٧ .

(٩٢) ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص٦٦ .

(٩٣) المقريزى : السلوك جـ١ق١ ص٤٩ .

(٩٤) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢ ص٣٥٥ ، والمقريزى : السلوك جـ١ ق١ ص٤٩ وانظر
Amir Ali, A Short History of The Saracenes, P 310

الى أن انقرضوا على يد السلجوقية مائة وثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما ، أولها يوم وصل معز الدولة الى بغداد ، وآخرها يوم وصل طغرلبك بغداد ، أما مدتهم منذ ملك عماد لدولة بلاد فارس مائة وخمس عشره سنة وثلاثة أشهر وستة أيام(٩٥) .

---

(٩٥) المقريزى : السلوك جـ١ ق١ ص٤٩ وانظر : ابن الوردى : تتمة المختصر جـ١ ص٣٥٥ .

الفصـــل الســـادس

صـــورة حضـــارية

الحيـــاة العلميـــة فى عصـــر بنـــى بـــويه



الفصـــل السـادس

الحيـــاة العلميـــة

« فى عصـر بنـى بـويه »

ونختم هذا البحث بصورة راهبه تزيل قتامة الصور السابقة ونعنى بهذه الصورة الحياة العلمية فى هذا العصر التى ازدهرت ازدهارا كبيرا حتى ان القرن الرابع الهجرى (الحادى عشر الميـلادى) يعتبر أوج الحضارة العربية ، ويرجع ذلك الى ان بنى بويه لم تكـن لهـم دولة واحدة مركزية تابعة لأمير واحد بل كانت دولة انقسامية منذ نشاتهـا فقد تقسمها منذ البداية اعضاء الأسرة البويهية الثلاثة : على بن بويه ، وحسن بن بويه ، واحمد بن بويه ، ثم تنافس على ولايتها الامراء من بنى بويه فوقع الصراع والتطاحن ، ذلك الصراع الذى ترتب عليه تدهور نفوذهم السياسى .

فاذا أضـفنا الى ذلك ظاهـرة الدويلات المسـتقلة(١) أو الـدول الاقليمية التى شهدها ذلك العصر تبين لنا مدى التمزق السياسى الذى اصاب دولة العباسيين فى ذلك الوقت .

ولكن التمزق السياسي لا يستتبع الضعف فى النواحى العلمية فقـد شهدت عصور التدهور السياسى ازدهارا فى النواحى العقلية والعلمية(٢).

ونظرة واعية الى تعدد العواصم فى دولة العباسيين آنئذ تظهر أن الدولة صار فيها أكثر من عاصمة حضارية يتدفق على كل منها الأدباء والعلماء حيث يلقون من كل أمير الترحيب والتكريم حيث كان كل أمير يحرص على أن يضمهم مجالسهم اعلاء لشانه وشأن امارته .

وهكذا وجدنا بجانب بغداد البصرة عواصم حضـارية أخرى كالرى وأصبهان وشيراز وبخارى وجرجان(٣) وحلب .

---

(١) كالسمانية ببخارى والزيارية بجرجان والحمدانية بحلب وما بين النهرين ، والغزنوية بأفغانستان والهند .

(٢) كازدهار عصر الملوك الطوائف فى الأندلس .

(٣) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان . ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص١١٩ .

وعلى الجملة ، فقد كان هذا العصر حيا حافلا بالحركات العلمية فى شتى نواحى المعرفة ، وامتاز بأنه احتشد فيه طائفة من العلمـــاء والفقهاء والأدباء والشعراء ورجال اللغة والبيان قل أن يحتشدوا فى عصر واحد(٤) .

وسوف نحاول القاء نظرات نجول بها فى شتى ميادين المعرفة فى هذا العصر لتنضح صورة هذه النهضة العلمية الشاملة .

أولا : الشـــعر والشـــعراء :

كان الملوك البويهيون انفسهم شعراء يشتغلون بالكتب ويهتمون بهاء وينادمون الأدباء والشعراء : فكان عضد الدولة نفسه شاعرا مبرزا حاز اعجاب الصاحب بن عباد ، كما كان ذواقة للشعر يدل على ذلك قوله يمتدح اشعار الصاحب : « لا غرو اذا فاض بحر العلم على لسان الشعر أن ينتج مالا عين وقعت على مثله ولا أذن سمعت بشبهه » وقال فى قصيدة للصاحب كذلك : « لو استحق شعر أن يعبد لعذوبة مناهله ، وجلالة قائله ، لكانت قصيدته هى ، الا أنى اتخذتها عند امتناع ذلك قبـله ، أوجه اليه صلوات التعظيم ، وأوقف عليها طوائف الاجلال والتكريم »(٥) .

والف أبو اسحق الصابى كتابه التــاجى الذى يمتلىء بآثار عضــد الدولة ، ويقول الثعالبى فيما حفل به هذا الكتاب : « من أراد أن ينظر فى أخبار عضد الدولة ، ويقف على محاسن آثاره ، فليتأمل الكتــاب التاجى من تاليف أبى اسحق الصابى لتجتمع له مع الاحاطة بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولاينته متونها ، وأطاعته عيونها »(٦) .

وكان عضد الدولة يعقد المجالس التى ينشد فيها الشعراء قصائد من شعره ومن أشعار غيره ، ونتمثل فى هذا المقام بقول عضد الدولة يعتذر الى أبى تغلب بن حمدان من اجابته الى معاودة بختيار عليه والتماسه كتاب الأمان منه . قال :

(٤) محمد عبد الغنى حسن : الشريف الرضى ص١٦ .
(٥) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ٢ ص٢١٧ .
(٦) الثعالبى نفس المصدر جـ٢ ص٢١٧ .

الفــاق حــين وطئت خنــاقه يبغى الامان وكان يبغى صــارمها
فلأركبن عزيمـــــة عضـــدية باحيــة نــدع الأنوف رواغمــا(٧)

قال أبو الفدا : « وكان عضد الدولة محبا للعلوم وأهلها فقصــده العلماء من كل بلد ، وألفوا له الكتب منها الايصاح فى النحو والحجة فى القراءات والملكى فى الطب والناجى فى ساريخ الديلم وعير دلك »(٨) ٠

وليس أدل على نفدير عصد الدولة للسعر من انه نمنى ان يكون هو المصلوب بدلا من الوزير ابن بقيه سقال فيه قصيدة محمد بن عمـران الانبارى التى يقول فيها :

علو فى الحياة وفى الممــات لحق أنت احــدى المعجــرات
كان الناس حولك حين قاموا وفــود نداك أيام الصــلات
كانك قائــم فيهــم خطيبــا وكلهــم قيــام للصــلاة(٩)

وقد حفل بلاط عضد الدولة بمن يقصده من الشعراء ، وكان ممـن قصده المتنبى الذى قال :

وقد رايت الملــوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها(١٠)

وكدلك كان عز الدولة ابو منصور بختيار شاعرا ، وله أشعار حسنة كثيرة ، وكان يتصل برجال العلم والأدب(١١) ٠

وكان تاج الدولة أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة شاعرا متميزا ،

(٧) الثعالبى : يتيمه الدهر جـ٢ ص٢١٨ ٠
(٨) أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص١٢٣ـ ٠
(٩) ابن خلكان : وفيــات الأعيــان جـ٥ ص ١٢٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص ١٣٠ - ١٣١ ٠
وانظر : بدوى طبانة : الصاحب بن عباد ٠
(١٠) الثعالبى يتمه الدهر ص٢٧٤ ٠
(١١) الثعالبى يتيمة الدهر جـ٢ ص٢١٩ ، بدوى طبانه . نفس المرجع ص٣٤ ٠

وصفه الثعالبى بانه : « آدب آل بويه وأشـعرهم »(١٢) ، وقد أدت به حرفة الأدب الى أن حبسه أخوه أبو الفوارس (١٣) ٠ وكذلك كان غيرهم من آل بويه ٠

ولاشك أن ملوكا هذا أدبهم ، وتلك آثار شاعريتهم لجدير بالأدب أن يزدهر فى دولتهم ، وأن يعز بنصرتهم ، وأن يطلب الزلفى به اليهـم كل صاحب موهبة وفن ، وهكذا كان(١٤) ٠

ولم يكن أمر الشعر وقفا على الأمراء من آل بويه فقد كان كذلك وزراؤهم وكان من اشهر هؤلاء الوزراء الشعراء الوزير المهلبى الذى كان « يترسل ترسلا مليحا ، ويقول الشعر قولا لطيفا ، يضرب بحسنه المثل، ولا يستحلى من العسل ،يتغذى الروح ويجلب الروح »(١٥) ٠

وممن وصف بالأدب كذلك أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الذى كان يجرى مجرى الوزراء حتى اعتبره الثعالبى أحد أعيان المدحين المقدمين فى الآداب والكتابة والبراعة واالكفاية وجميع أدوات الرياسة(١٦) ٠

ومنهم أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازى كاتب معز الدولة الذى كان « آخذ بطرق النظم والنثر »(١٧) ٠

وكانت مجالس الشعر والأدب مشـهورة لدى هؤلاء الوزراء فكـان القاضى التنوخى من ندماء الوزير المهلبى وغيره من وزراء العـراق يحبونه كثـيرا ويتعصبون له « وبعدونه ريحـانة النـدماء ، وتاريخ الظرفاء »(١٨) ، وكان يحضر مجالسه مع الوزير المهلبى جم غفير من الصحاب يلهـون ويقصفون فى غير ما تحفـظ ، ووصـف الثعالبى تلك المجالس بقوله : « فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذ السماع ،

---

(١٢) الثعالبى : نفس المصدر جـ٢ ص ٢٢٠ ٠
(١٣) الثعالبى : نفس المصدر جـ٢ ص٢٢٠ ٠
(١٤) محمد عبد الغنى حسن : الشريف الرضى ص٣٨ ٠
(١٥) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ٢ ص٢٢٤ ٠
(١٦) الثعالبى : نفس المصدر جـ٢ ص٣١٣ ٠
(١٧) الثعالبى : نفس المصدر جـ٢ ص٣٢٦ ٠
(١٨) الثعالبى : نفس المصدر جـ٢ ص٣٣٦ ٠

وأخذ منهم الطرب مأخذه وهبوا ثوب الوقار للعقار »[١٩] ، وكانت القصائد بين القاضي التنوخي والوزير المهلبي تحل محل الرسائل بينهما[٢٠] ، وأشبه القاضي التنوخي ابنه أبو علي المحسن[٢١] .

وكان من أشهر شعراء هذا العصر الشاعر أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي الذي وصف بأنه « من أشعر أهل العراق قولا بالإطلاق ، وشهادة بالاستحقاق » ، وقال الشعر وهو ابن عشر سنين واتصل بأمراء آل بويه ومدح ركن الدولة واعتبر أشهر من مدحه بقوله :

ضربوا لك الأمثال في أشعارهم   لكنني بك أضرب الأمثالا[٢٢]

وقد ذكره ابن خلكان وقال عنه : « وكان عين شعراء العراق » وبعد أن ذكر له شعرا قال . « وعلى الحقيقة هذا الشعر هو السحر الحلال كما يقال »[٢٣] .

ونختم الكلام عن الأدب والأدباء بعلمين من أعلامه هما أبو الفضل ابن العميد الذي لم يقاربه أحد من الأدباء في زمانه حتى لقب بالجاحظ الثاني وكان الصاحب ابن عباد من بعض أتباعه ، وقد قيل « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد »[٢٤] قال عنه الثعالبي : « ... واحد العصر في الكتابة وجميع أدوات الرياسة وآلات الوزارة ، والضارب في الآداب بالسهم الفائز ، والآخذ من العلوم بالأطراف القوية ، ويدعى الجاحظ الأخير والأستاذ والرئيس ، يضرب به المثل في البلاغة ، وينتهي اليه في الاشارة بالفصاحة والبلاغة ... وما أحسن ما قاله له الصاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها « بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد »[٢٥] .

---

(١٩) الثعالبي : نفس المصدر جـ٢ ص٣٣٧ .
(٢٠) الثعالبي : يتيمة الدهر جـ٢ ص٣٤١ - ٣٤٢ .
(٢١) الثعالبي : نفس المصدر جـ٢ ص٣٤٦ .
(٢٢) الثعالبي : نفس المصدر جـ٢ ص ٤٠٠ .
(٢٣) انظر وفيات الأعيان جـ٤ ص٥٢ - ٥٣ .
(٢٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ ص١٠٥ - ١٠٧ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٣ ص٣١ .
(٢٥) الثعالبي : يتيمة الدهر جـ١ ص١٥٩ ، وانظر : متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص٣٢٢ .

وقد تشبه ابن العميد بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والشعراء والكتاب(٢٦) . والصاحب ابن عباد الذى كان من أشهر من ظهر من الكتاب فى هذا العصر وكان مقصدا للشعراء وأرباب البيان ، قال عنه صاحب اليتيمة : « هو صدر المشرق وتاج المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والاحسان ، ومن لا حرج فى مدحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل فى دهرنا سوق » ثم قال مبينا كيف كان الصاحب قبلة الشعراء ولماذا : « ولما كان نادرة عطارد فى البلاغة ، وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، جلب اليه من الآفاق واقاصى البلاد كل خطاب جزل وقول فصل ، وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام وبليغ الأفهام ، وثمار الخواطر ، ومجلسه مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم ودرر القرائح ، فبلغ من البلاغة ما يعد فى السحر ... واحتف به من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل وفرسان الشعر من يربى عددهم عن شعراء الرشيد »(٢٧) .

وبلغ من تقدير عضد الدولة للصاحب عندما جاءه الصاحب فى نهاوند سنة ٣٧٠هـ أن تلقاه بنفسه على بعد من البلد وعظمه هو وأصحابه ، وكان أصحاب عضد الدولة يواصلونه ويغشونه فى مدة مقامه بينما لم يركب هو الى أحد منهم(٢٨) .

وخلع عضد الدولة على الصاحب الخلع الجليلة وحمله على فرس بمركب ذهب ونصب له دستا كاملا فى خركاه(٢٩) يتصل بمضاربه وأجلسه فيه واقطعه ضياعا جليلة فى نواحى فارس(٣٠) .

وصنف الصاحب العديد من الكتب منها المحيط فى اللغة والكافى فى

---

(٢٦) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص٢١٩ .
(٢٧) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ٣ ص١٥٩ .
(٢٨) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٠ .
(٢٩) الخركاه : جمع خركاوات ، وهى كالبيت تصنع من الخشب على هيئة مخصوصة تغشى بالجوخ ونحوه . البقلى : مصطلحات ص١١٧ وانظر
Dozy : Suppl. I., P. 366
(٣٠) أبو شجاع : المصدر السابق ص١١ .

الرسائل وكتاب الامامة الذى يتضمن فضائل على رضى الله عنه ، وصحة امامة من تقدمه ، وكتاب الوزارة(٣١) .

المكتبـــــات :

كان فى كل جامع مكتبة حيث كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجامع ، ويقال أن « خزائن الكتب بمرو كانت تحوى كتب يزدجرد لأنه حملها اليها وتركها »(٣٢) ، قال ياقوت الحموى الذى زار مرو : « فارقتها وفيهـا عشـر خزائن للوقف لم أر فى الدنيـا مثلهـا كثرة وجودة »(٣٣) .

وقد عمل القاضى ابن حبـان(٣٤) أحد الحفـاظ الكبـار المصنفين المجتهدين المتوفى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م فى مدينة نيسابور دارا للعلم وخزانة كتب ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم ، وأجرى لهم الأرزاق ، ولم تكن الكتب تعار خارج الخزانة(٣٥) حرصا عليها . كما أنشأ أبو على بن سوار الكاتب أحد رجال حاشية عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م دار كتب فى مدينة رام هرمز(٣٦) ودارا للعلم فى الكرخ غربى بغـداد ، ونقل اليها كتبا كثيرة اشتراها وجمعها ؛ وكان بها مائة نسخة من القرآن الكريم بأيدى أحسن النساخ بالاضافة الى عشرة آلاف وأربعمائة مجـلد أخرى معظمها بخط أصحابها ، أو من الكتب التى كان يملكها رجال مشهورون ، وجعل أمر رعايتها وحفظها الى رجلين من العلويين يعاونهما أحد القضاة ، وفتح مكتبه لجميع الطـلاب ، وعين لهم ما يحتـاجونه من الكتب وكذلك ما يحتاجونه من دهن الأسرجة(٣٧) .

---

(٣١) أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص ١٣٠ .

(٣٢) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ١ ص٣٢٢ حاشية ٣ ، ومرو هى مرو الشاهجان وهى مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها . معجم البلدان جـ٥ ص١١٣ وما بعدها .

(٣٣) ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص١١٤ .

(٣٤) محمد بن حبان بن أحمد بن جنان بن معاذ بن معبد أبو حاتم البستى . ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٥٩ .

(٣٥) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص٣٢٩ .

(٣٦) رام هرمز : أى مقصود هرمز بنواحى خورســتان . ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص١٧ .

(٣٧) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص٣٢٩ .

..... واتخذ الشريف الرضى نقيب العلويين والشاعر المشهور المتوفى سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م دارا سماها دار العلم، وفتحها للطلبة الراغبين فى التعلم، وعين لهم جميع ما يحتاجون اليه من دهن السراج ، ولما علم بغياب خازن دار العلم فى أحد الأيام وحاجة الطلاب الى دهن السراج آنئذ أمر بأن يتخذ لخزانة الدهن مفاتيح بعدد الطلبه ليستعمله كل من يحتاج اليه اذا لزم الأمر(٣٨) .

وكذلك انشأ الشريف المرتضى أخو الشريف الرضى دارا للعلم اسماها دار العلم كذلك ، ووقف قرية من قراه للصرف على هذه الدار ، وكانت دار العلم هذه كبيرة الى درجة أنها ضمت ثمانين الف مجلد قدرت قيمتها بثلاثين ألف دينار(٣٩) .

وأشار ابن سينا الى مكتبة نوح بن منصور سلطان بخارى والتى كانت تحوى حمل اربعمائة الف حمل(٤٠) .

ولا ينسى فى هذا المجال مكتبة سابور بن أردشير وزير بنى بويه فى الكرخ غربى بغداد ، فقد وقف دارا للعلم فى سنة ٣٨١هـ ، وجعل فيها كتبا كثيرة جدا ، وخصص لها الأوقاف للانفاق عليها ، وقد ظلت هذه الدار سبعين سنة حتى أحرقت عند مجىء طغرلبك السلجوقى(٤١) ، وكان ممن تولى الاشراف عليها عبد السلام البصرى اللغوى المتوفى سنة ٤٠٥هـ(٤٢) .

الطب والأطبـــــاء :

حفل عصر البويهيين بالكثير من مشهورى الأطباء منهم هلال بن هارون الصابى الحرانى الذى تميز بمهارته وحذقه لفنون الطب ، حكى عنه أبو الفرج بن أبى الحسن بن سنان قال « كنت عند ابراهيم الحرانى

---

(٣٨) متز : الحضارة الاسلامية جـ١ ص٣٢٩ ، محمد عبد الغنى حسن : الشريف الرضى ص١٨ .
(٣٩) محمد عبد الغنى حسن : الشريف الرضى ص١٨
(٤٠) أنور الجندى : أضواء على الفكر العربى الاسلامى .
(٤١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص١٩ .
(٤٢) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى جـ٢ ص٢٢٧ .

يوما في دار أبى محمد المهلبى فتقدم أبو عبد الله بن الحجاج الشاعر الحرانى فأعطاه محسه فقال : « قلت لك غلظ غذاك ، واظنك أسرفت في ذلك حتى اكلت مضيرة بلحم عجل ، فقال : « كذاك والله كان » . وعجب هو والجماعة منه ، ومد اليه ابو العباس المنجم يده فأخذ محسه ، فقال : أنت يا سيدى أسرفت في التبريد أيضا وأظنك قد أكلت احدى عشرة رمانة ، فقال أبو العباس المنجم : هذه بنوءة لا طب »(٤٣)، وكان هلال يعتنق دين الصابئة ، وعرضت عليه الوزارة ليسلم فأبى(٤٤) .

وفي أيام المطيع ووزارة معز الدولة احمد بن بويه اشتهر ثابت بن سنان بن قرة وبرع في الطلب حتى صار عالما بأصوله ، وتولى أمر البيمارستان في بغداد بعد ذلك(٤٥) .

ومن الأطباء المشهورين في هذا العصر كذلك ابن بطلان الطبيب النصرانى البغدادى الذى كان طبيبا محترفا يرتزق بصناعة الطب ، والف فيه مؤلفات مشهورة(٤٦) .

وبزين هذا العصر ابن سينا الطبيب الفيلسوف الذى ولد في بخارى سنة ٣٧٠هـ ، وكان بارعا في الطلب ، وعالج نوح بن منصور ملك الدولة السامانية فاجرى له العطاء(٤٧) ، وكان لهذا الملك مكتبة عظيمة فاستوعب ابن سينا كل ما فيها من الكتب قراءة ودراسة(٤٨) ، وتنقل ابن سينا في البلدان والف تاليف متنوعة اشهرها كتاب «القانون» الذى حوى أهم ما عرف من أصول الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها عند العرب(٤٩) ، قال الدكتور روبنسون : انه يحتوى على ما يزيد على مليون كلمة ، وقد عالج القرحة الدرنية والقولنج الكبدى والكلوى والتهاب الرئة والجنب والتهاب الدماغ(٥٠) ، وقد ترجم هذا الكتاب في خمس

---

(٤٣) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٧٤ .
(٤٤) ابن العبرى : نفس المصدر ص١٧٤ .
(٤٥) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٧٠ .
(٤٦) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٩٠ .
(٤٧) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص٤٣ .
(٤٨) العدوى : نهر التاريخ الاسلامى ص٣٦٥ .
(٤٩) العدوى : نفس المرجع ص٣٦٥ - ٣٦٦ .
(٥٠) انور الجندى : أضواء على الفكر العربى الاسلامى ص٤٧ .

عشرة طبعة الى اللاتينية والعبرية والانجليزية(٥٠) ، وكان هذا مؤلف وكذلك الجزء التاسع من موسوعة الرازى أساس المحاضرات التى القيت فى جامعات أوربا حتى القرن السادس عشر الميلادى

وكان البويهيون يهتمون بأمر الطب وينسب البيمارستان العضدى ببغداد الى عضد الدولة بن بويه ، وقد كلفه أموالا عظيمة حتى قيل « وليس فى الدنيا مثل ترتيبه ، وفرغ من بنائه فى سنة ٣٦٨هـ ، وأعد له من الآلات ما يقصر الشرح عند وصفه وقد رتب فيه الأطباء والخدم ونقل اليه من الأدوية والأشربة والعقاقير شيئا كثيرا »(٥٣) ؛ وظل المارستان العضدى صدر المارستانات حتى بنى نور الدين محمود مارستانه الكبير فى دمشق فى أواسط القرن السادس الهجرى ، ثم بنى صلاح الدين الأيوبى المارستان العتيق فى القاهرة وغيره ٠

الفلك والتنجيم :

وفى ميدان الفلك والتنجيم اشتهر عبد الرحمن بن عمرو بن سهل أبو الحسين الصوفى الرازى ، وله مؤلفات كثيرة منها كتاب الصور السمائية وكتاب مطارح الشعاعات وقد توفى فى سنة ٣٧٦هـ عن خمس وثمانين عاما(٥٤) ٠

ومن المنجمين عبد الله بن الحسن أبو القاسم المعروف بغلام زحل، وكان من افاضل الحساب والمنجمين ، وكانت له يد طولى فى هذا الشأن(٥٥) ، وأحمد ابن محمد الصاغانى أبو حامد الذى كان ذا باع كبيرة فى الهندسة وعلم الهيئة ، وكان يحكم الآلات الرصدية فى بغداد غاية الاحكام ، ولما بنى شرف الدولة بيت الرصد فى طرف بستان دار المملكة ، وتقدم برصد الكواكب السبعة واعتمد فى ذلك على الكوهى ،

---

(٥١) أنور الجندى : نفس المرجع ص٤٧ ٠

(٥٢) فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ص١٧٢ ، هل : تاريخ الحضارة ص١٢٦ ٠

(٥٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤ ص٥٤ ـ ٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص٢٩٩ ٠

(٥٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٧٤ ـ ١٧٥ ٠

(٥٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٧٦ ٠

ورصد وكتب مختصرين بصورة الرصد ، وكتب خطه بتصحيح نزول الشمس فى برجين(٥٦) ؛ وكان ويجن كذلك ذا باع كبير فى المعرفة بالهندسة وعلم الهيئة وكان رصده لحلول الشمس برجى السرطان والميزان سنة ١٢٩٩م(٥٧) .

وكان أبو الريحان البيرونى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م ذا مهارة فائقة فى علم الفلك ولم يكن له نظير فى زمانه(٥٨) ، ألف القانون المسعودى فى الهيئة والنجوم لأنه أهداه الى السلطان الغزنوى مسعود بن محمود ، أورد فيه كل المعلومات الخاصة بالفلك ، ويحتوى الكتاب على اثنين وأربعين ومائة باب(٥٩) ، وله كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » وهو دراسة فى تقاويم الشعوب القديمة ، وبحث فى غير هذا الكتاب من مؤلفاته نظرية دوران الأرض حول محورها ، ووصل الى تحديد دقيق لخطوط الطول والعرض(٦٠) ؛ وله كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة » ، وفى وفى البيرونى يقول سحو « أعظم عقلية عرفها التاريخ والغربيون مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرها فى العلوم ، وصاغ نظرية دوران الأرض حول محورها وحول الشمس »(٦١) .

الفلسفة والمنطق :

من فلاسفة هذا العصر على بن العباس المجوسى صاحب كتاب «الملكى» وقد ألف لعضد الدولة هذا الكتاب الجليل الذى لزم الناس درسه حتى ظهر كتاب «القانون» لابن سينا « فمالوا اليه وتركوا الملكى بعض الترك »(٦٢) ، قال ابن العبرى : « والملكى فى العمل أبلغ والقانون

---

(٥٦) ابن العبرى : نفس المصدر ص١٧٦ .
(٥٧) ابن العبرى : نفس المصدر ص١٧٦ .
(٥٨) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٧٠ .
(٥٩) العدوى : نهر التاريخ الاسلامى ص٣٦٧ ، ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص٢٢٩ .
(٦٠) العدوى : نهر التاريخ الاسلامى ص٣٦٧ .
(٦١) أنور الجندى : أضواء على الفكر العربى الاسلامى ص٤٦ ،نهر التاريخ الاسلامى ص٣٦٨ .
(٦٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٧١ .

فى العلم اثبت »(٦٣) ؛ وأبو الفرج عبد الله بن الطيب الذى أطلع على كتب الأوائل واقاويلهم ، وعنى بشروح الكتب القديمة فى المنطق وانواع الحكمة من تاليف أرسطوطاليس ، وبسط القول فى الشروح بسطا شافيا قصد به التعليم والتفهيم(٦٤) .

ومن أبرز فلاسفة هذا العصر الشيخ الرئيس ابن سينا الذى احتل مركز المعلم الثالث بعد ارسطو الفارابى ، وألف ابن سينا كثيرا من الكتب فى فلسفة أرسطو وأفلاطون والأفلاطونية الحديثة - نسبة الى افلوطين - تدل على مدى براعته فى صناعة الفلسفة وعلى مدى تطورها على يديه(٦٥) ؛ وخالف ابن سينا أرسطو وأفلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان فى كثير من النظريات والآراء ولم يتقيد بها ، وهو بذلك صاحب تفكير حر مستقل يعرض الآراء على المنطق والعقل ويحكم فيها بخبراته، وهو القائل : « حسبنا ما كتب من شروح لمذاهب القدماء ، وقد آن لنا أن نضع فلسفة خاصة بنا »(٦٦) ، وأهم مصنفاته الفلسفية : الشفاء الذى استوعب فيه علوم الفلسفة ، يليه كتاب «النجاة» الذى هو مختصر الشفاء ، والاشارات ، وتسع رسائل فى الحكمة(٦٧) ، والقصيدة العينية المشهورة فى الروح(٦٨) وغير ذلك .

كما ظهر فى حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى جماعة اخوان الصفا وهى جماعة فلسفية سرية لها ميول باطنية سياسية ، حرصوا على نشرها بين كل من يتوسمون فيه الخير من كل البلاد ، ويرغبونه فى الانضمام اليهم ، وكان اهتمامهم ينصب على الشباب على أساس أنهم أقرب الى الاستجابة لدعوتهم من الشيوخ(٦٩) .

وقد وضع أعضاء هذه الجماعة اثنتين وخمسين رسالة تعتبر خلاصة

---

(٦٣) ابن العبرى : نفس المصدر ص٣٧١ .
(٦٤) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٩٠ .
(٦٥) ماجد : الحضارة الاسلامية ص٢١٦ .
(٦٦) أضواء على الفكر العربى الاسلامى .
(٦٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص٤٣ ، ماجد : الحضارة الاسلامية ص٢١٧ .
(٦٨) العدوى : نهر التاريخ الاسلامى ص٣٦٥ - ٣٦٦ .
(٦٩) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص ٢٢٠ .

ابحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهنود، وتعديلها على ما يقتضيه الاسلام ، وقد تأثر بكتابات هذه الجماعة ابو العلاء المعرى وأبو حيان التوحيدى وأبو حامد الغزالى ، وغيرهم من مفكرى القرنين الرابع والخامس(٧٠) .

علـم اللغـة والنحـو :

ومن أشهر العلماء فى هذا العصر ابو على الفارس الذى ولد بمدينة فسا ، واشتغل ببغداد ، وكان امام وقته فى علم النحو ، وذهب الى بلاد فارس واتصل بعضد الدولة وعلت مكانته لديه حتى قال عضد الدولة : « أنا غلام أبى على الفسوى فى النحو » ، وقد وضع له كتاب الايضاح والتكملة فى النحو ، وقال فيه ابن خلكان : « وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله ويعدد »(٧١) ، ومن مؤلفاته كتاب «التذكرة» ، وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب « الحجة والقراءات » وكتاب «الاغفال» فيما أغفله الزجاجى ، وغيرها(٧٢) .

ومن علماء هذا العصر ابو سعيد السيرافى النحوى ، وله شرح كتاب سيبوية ، وطبقات النحاة ، وكان ابو سعيد عالما باللغة والنحو وكان اعلم الناس بنحو البصريين ، وقد قرأ اللغة على ابن دريد والنحو على ابن السراج وابن المرزبان(٧٣) .

ومنهم أبو الحسن النحوى المعروف بالرمانى الذى روى عن ابن دريد وكان ذا يد طولى فى النحو واللغة ، وكان يبيع الرمان فنسب اليه أو نسب الى قصر الرمان بواسط(٧٤) ، ومن أشهر النحاه وأهل اللغة أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى صاحب المؤلفات الشهيرة فى النحو واللغة ، وكان جنى عبدا روميا . ومن أشهر علماء اللغة

---

(٧٠) العدوى : بهر التاريخ الاسلامى ص٣٦٦ .
(٧١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ ص٨٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٣٠٦ .
(٧٢) ابن كثير : نفس المصدر جـ١١ ص٢٩٤ .
(٧٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١١ ص٢٩٤ .
(٧٤) ابن كثير : نفس المصدر جـ١١ ص٣١٤ .

أبو الحسين أحمد بن فارس الرازى صاحب المجمل فى اللغة ، وله رسائل حسان اخذ عنه البديع صاحب المقامات ». ومنهم بديع الزمان الهمذانى صاحب الرسائل الرائعة والمقامات الفائقة(٧٥) .

وغير هؤلاء فى شتى ميادين المعرفة ، ونذكر فى هذا المجال أن هذا البحث اعتمد فى معظمه على مؤرخين كبيرين عاشا فى هذا العصر وعاصرا أحداثه وهما مسكويه المتوفى سنة ٤٢٠هـ والذى تناول فى كتابه تجارب الأمم الرائع الفترة التاريخية التالية لما ارخه الطبرى واهتم بتاريخ الفترة المبكرة من تاريخ حكم البويهيين وحتى سنة ٣٦٩هـ ، أما ثانى هذين المؤرخين فهو أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الروذراورى وكتابه ذيل تجارب الأمم الفترة من سنة ٣٦٩هـ الى ٣٨٩هـ؛ وكانت افادتنا مما أورداه على درجة عالية من الأهمية ويكفى فى النهاية أن نلقى نظرة على من توفى فى عهد الخليفة القادر بالله فقط (٣٨١ - ٤٢٢هـ/٩٩٢ - ١٠٣١م) لنتبين كيف زخر هذا العهد بالأعلام فى كل ألوان المعرفة والثقافة ، قال السيوطى : « وممن مات فى أيامه من الأعلام : أبو أحمد العسكرى الأديب ، والرمانى النحوى ، وأبو الحسن الماسرجسى شيخ الشافعية ، وأبو عبيد الله المرزبانى والصاحب ابن عباد - وهو مؤرخ مؤيد الدولة ، وهو أول من سمى بالصاحب من الوزراء ، والدارقطنى الحافظ المشهور ، وابن شاهين وأبو بكر الأولى امام الشافعية ويوسف بن السيرافى ... وابن أبى زيد المالكى شيخ المالكية ، وأبو بكر المكى صاحب « قوت القلوب » ، وابن بطة الحنبلى وابن سمعون الواعظ والخطابى والحاتمى اللغوى ... وزاهر السرخسى شيخ الشافعية ، وابن غلبون المقرئ ، ... وابن جنى والجوهرى صاحب «الصحاح» ، وابن فارس صاحب «المجمل» ... وبديع الزمان أول من عمل المقامات ... وأبو حيان التوحيدى ، والوأواء الشاعر ، والهروى صاحب «الغريبين» ، وأبو الفتح البستى الشاعر ، ... والصيمرى شيخ الشافعية ، والحاكم صاحب «المستدرك» ، والشيخ أبو حامد الاسفراييني ، وابن فورك ، والشريف الرضى وأبو بكر الرازى صاحب «الألقاب» ...

---

(٧٥) ابن كثير : نفس المصدر جـ١١ ص ٣٤٠ ، أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص١٣٥ .

وخلائق آخرون »(٧٦) ، بل ويضم اليهم السيوطى الخليفة القادر بالله نفسه « فانه كان من أعلامهم ، تفقه وصنف »(٧٧) ، وعد الشيخ تقى الدين بن الصلاح الخليفة القادر من الفقهاء الشافعية(٧٨) .

والحق ، أن هذا العصر أكثر من أن يستقصى فيه أسماء علمائه وأدبائه وهو من هذه الناحية على عكس وضعه السياسى كان عصر ازدهار قل أن يوجد له نظير .

---

(٧٦) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٤١٥ ـ ٤١٦ .
(٧٧) السيوطى : نفس المصدر ص٤١٧ .
(٧٨) السيوطى : نفس المصدر ص٤١٧ .



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصـــادر والمراجـــع



اولا : المصـــادر :

١ - ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) علي بن احمد بن ابي الكرم
الكامل في التاريخ ، ط. بيروت .

٢ . الاصطخري (النصف الاول من القرن الرابع الهجري) ابو اسحق
ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي
المسالك والممالك ، تحقيق : الدكتور محمد جابر عبد العال
الحيني ، القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

٣ - ابن بطوطة (القرن الثامن الهجري) محمد بن عبد الله بن محمد
ابن ابراهيم اللواتي الطنجي
رحلة ابن بطوطة ، ط. بيروت

٤ - الثعالبي (٤٢٩هـ) ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل
الثعالبي النيسابوري
يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر . تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

٥ ابن حوقل . ابو القاسم بن حوقل النصيبي
صورة الارض ، ط. بيروت ١٩٧٩م

٦ - ابن جبير (ت ٦١٤هـ ١٢١٧م) ابو الحسن محمد بن احمد .
رحلة ابن جبير تحقيق الدكتور حسين نصار

٧ - ابن خلدون ٨٠٨هـ ، عبد الرحمن بن محمد
مقدمة ابن خلدون ، ط. دار الشعب ، القاهرة .

٨ - ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) شمس الدين ابو العباس احمد بن
ابراهيم بن ابي بكر الشافعي
وفيات الاعيان ، ط. بيروت

٩ الذهبي (٧٤٨هـ/١٣٤٨م) الحافظ شمس الدين
دول الاسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ،
القاهرة ١٩٧٤ .

سبط ابن الجوزي .
مرآة الزمان ط. حيدر اباد .

١١ - السيوطى : جلال الدين ٠
تاريخ الخلفاء ، ط٠ القاهرة ٠

١٢ - أبو شجاع (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم الوزير ظهير الدين الروذراورى ٠
ذيل تجارب الأمم ٠

١٣ - الشهرستانى : ابو محمد محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ٠
الملل والنحل ، ط٠ بيروت ٠

١٤ - الطبرى (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) أبو جعفر محمد بن جرير ٠
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩م ٠

١٥ - ابن الطقطقى : محمد بن على بن طباطبا ٠
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ط٠ بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ٠

١٦ - ابن العبرى (ت٦٨٥هـ) غريغوريوس الملطى ٠
تاريخ مختصر الدول ، ط٠ بيروت ٠

١٧ - العصامى ٠
سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، مخطوط رقم ٢٥٣ تاريخ بدار الكتب المصرية ٠

١٨ - على بن طاهر (ابو الحسن) (٦٢٣هـ) ٠
تاريخ الدول المنقطعة ، تصوير شمسى بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ ٠

١٩ - ابن العماد الحنبلى (١٠٨٩هـ) عبد الحى بن أحمد ٠
شذرات الذهب فى أخبار من دهب ، ط٠ بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٠

٢٠ - الفارقى : أحمد بن يوسف بن على الأزرق الفارقى ، تحقيق : الدكتور بدوى عبد اللطيف عوض ، ط٠ بيروت ١٩٧٤م ٠

٢١ ـ أبو الفدا (٧٣٢هـ/١٣٢٢م) عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبى الفدا صاحب حماه .
أ ـ المختصر فى أخبار البشر ، ط. بيروت .
ب ـ تقويم البلدان ، ط. باريس ١٨٤٠م .

٢٢ ـ ابن كثير (٧٧٤هـ/١٣٧٣م) الحافظ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل القرشى .
البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٣م .

٢٣ ـ مجهـول .
العيون والحدائق فى أخبار الحقائق ، ط. ابريل ١٨٦٩م.

٢٤ ـ أبو المحاسن (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين يوسف بن تعرى بردى.
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة : التأليف والترجمة والنشر .

٢٥ ـ المسعودى (ت٣٤٦هـ) أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الخامسة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

٢٦ ـ مسكويه : أبو على أحمد .
تجارب الأمم ، ط. ١٣٢٢هـ/١٩١٤م ، اعتنى بنسخه وتصحيحه : هـ.ف. آمدروز .

٢٧ ـ الماوردى (ت ٤٥٠هـ) على بن حبيب البصرى البغدادى .
أ ـ الأحكام السلطانيه والولايات الدينية، ط. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م .
ب ـ قوانين الوزارة ، تحقيق : الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، الدكتور محمد سليمان داود .

٢٨ ـ المقريزى (٨٤٥هـ) تقى الدين أحمد ين على .
أ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ، التأليف والترجمة والنشر .
ب ـ اتعاظ الحنفا فى أخبار الأئمه
تحقيق : الدكتور محمد حلمى أحمد .

٢٩ - ابن ميسر (٦٨٧هـ) ابو عبد الله محمد بن على
أخبار مصر ، الجزء الثانى ، ط. هنرى مسيه ،
القاهرة ١٩١٩م .

٣٠ - النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى
نهاية الأرب وفنون الأدب ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٣١ - هبة الله الشيرازى .
مذكرات داعى دعاه الدوله الفاطميه ، تحقيق : الدكتور
عارف تامر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٣٢ - الهمذانى : محمد بن عبد الملك
تكملة تاريخ الطبرى (فى الجزء الحادى عشر من
مجموعة تاريخ الطبرى) ، اصدار دار المعارف بمصر .

٣٣ - ابن الوردى : الشيخ زين الدين بن عمر .
أ - تتمة المختصر فى أخبار البشر ، القاهرة ١٢٥٨هـ/
١٨٦٦م .
ب - فريدة العجائب وخريدة الغرائب ، ط ١٢٧٦هـ .

٣٤ - ياقوت : (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) شهاب الدين ابو عبد الله الحموى
الرومى .
أ - المشترك وضعا والمختلف صقعا ، ط. جوتنجس ١٨٩٤م .
ب - معجم البلدان ، ط. بيروت .

ثانيا : المراجع :

١ - ابراهيم احمد العدوى (الدكتور)

أ - حركات التسلل ضد القوميه العربية ، المكتبة الثقافية العدد ٥ ، ١٩٦١م .

ب - نهر التاريخ الاسلامى ، القاهرة ١٩٨٩م .

٢ - احمد ابراهيم شريف (الدكتور) بالاشتراك مع الدكتور حسن محمود .

العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، القاهرة ، ط. أولى ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م

٣ - أنور الجندى .

أضواء على الفكر العربى والاسلامى ، العدد ١٤٩ المكتبة الثقافية ، ١٩٦٤م .

٤ - بدوى طبانه ..

الصاحب ابن عباد ، سلسلة أعلام العرب .

٥ - البقلى (محمد قنديل) .

التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، القاهرة ١٩٨٤م .

٦ - حسن ابراهيم حسن (الدكتور) .

١ - تاريخ الاسلام السياسى والدينى والاجتماعى والثقافى ، القاهرة ١٩٦٢م .

٢ - الفاطميون فى مصر ، المطبعة الأميرية ، ١٩٣٢م .

٣ - النظم الاسلامية (بالاشتراك مع الدكتور على ابراهيم حسن) ط أولى ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

٧ - الجربوطلى (على حسنى) الدكتور .

مصر العربية الاسلامية ، القاهرة ، مارس ١٩٦٣م .

٨ - الخضرى (محمد)

تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية) ، الطبعة خمسة ١٣٦٤هـ/١٩٠٥م

٩ - عبد المنعم ماجد (الدكتور) .

أ - تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، ط٣ ، القاهرة ١٩٧٣م .

ب - ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، القاهرة ١٩٧٧ .

١٠ - على ابراهيم حسن (الدكتور) .

أ - التاريخ الاسلامى العام ، بدون تاريخ .

ب - النظم الاسلامية (بالاشتراك مع الدكتور حسن ابراهيم حسن) .

١١ - عصام الدين عبد الرءوف (الدكتور) .

الدولة الاسلامية المستقلة فى الشرق ، بدون تاريخ .

١٢ - فتحية النبراوى (الدكتورة) .

تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ، ط. ثانية ١٩٨١م .

١٣ - محمد جمال الدين سرور (الدكتور) .

أ - تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق (من عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى) ، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .

ب - سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

حـ - النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والجزيرة ، القاهرة .

١٤ - محمد حلمى أحمد (الدكتور) .

الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ .

١٥ - محمود شاكر .

التاريخ الاسلامى (الدولة العباسية) ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

١٦ - هل (ى) .

الحضارة العربية ، ترجمة د/ابراهيم أحمد العدوى ، دار الهلال .

١٧ ـ وفاء محمد على (الدكتور) .

أ ـ الزواج السياسى فى عهد الدولة العباسية ١٩٨٩م .

ب ـ الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول ١٩٨٤م .

جـ ـ صفحات من تاريخ العباسيين ١٩٨٩م .

المراجع الاجنبية

1 — AMIR AIL, (SAYED)

A Short History of The Saracenes

(London 1981)

2 — ARNOLD (T)

The Caliphate. (Oxford 1924)

3 — BROKLMAN (CARL)

History of Islamic People

London (1959)

4 — BROWNE (EDWARD)

Aliterary History of Persia

5 — Dozy; Supplément aux Dictionnaires

Arabes 2. ed. Lyden 1881

6 — ENCY - DE L'ISL

7 — ENCY CLOPEDIA OF ISLAM LYDEN

8 — HASSAN IBRAHIM,

A History and Islamic Culture

(Without Date)

9 — LE STRANGE, LANDS OF THE EATERN CALIPHAT

(Cambridge 1930)

10 — SHABAN (H. A).

Islamic History Vol 2 (Combridge 1986)

11 — SAUNDERS, J. J.

History of Medieral Islam

(London 1972)

فهـــرس المحتـــويات



كشـــاف الموضـــوعات

الموضـوع	الصـفحة

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

سورد جهبريه

الموضـــوع	الصـــفحة
الفلسفة والمنطق	١٣٧
علم اللغة والنحو	١٣٩
المصادر والمراجع	١٤٣ - ١٥٢
المحتويات	١٥٣ - ١٥٧





تم بحمـــد الله



